بَرَاهِيْنُ

تُؤيّد اهل السُّنة والجَماعة

أتباع المذاهب الاَربعة عامّة وَالشَّافِعية خَاصَّة

نقلها وجمعها و حرَّرها

الاُستاذ عبدالله بن نوح

رَئس هَيئة البحوث الإِسلامية بجاكرتَا

الحمدلله رب العالمين والصّلاة والسلام على اشرف المرسلين محمد وَ آله وصحبه والتابعين.

امور مهّمة ينبغى علمها اوّلاً قبل الحوض في مسائل الكتاب

الاوّل

أَحْكَامِ الشَّرْعِ ٱلْإِسْلاَمِيِّ مَا هُوَ مَعْلُوْمٌ مِنَ الدِّيْنِ بِالضَّرُوْرَةِ وَمَا لَيْسَ كَذلِكَ. أَوْ بِعِبَارَةٍ أُخرى إِنَّ أَحْكَامَ الشَّرْعِ مِنْهَا مَاهُوَ ضَرُوْرِيٌّ، وَمِنْهَا مَا هُوَ نَظَرِيٌّ. فَالْأَوَّلُ، أَيِ الضَّرُوْرِيُّ أَوِ

الْمَعْلُوْمُ مِنَ الدِّيْنِ بِالضَّرُوْرَةِ، هُوَ مَادَلَّ عَلَيْهِ نَصٌّ قَطْعِيٌّ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ كَوُجُوْبِ الصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ وَحُرْمَةِ الزِّنَا وَالسَّرِقَةِ. وَهذَا لَيْسَ مَجَالاً لِلإِجْتِهَادِ، بَلْ يَخْرُجُ مُنْكِرُه عَنِ ٱلْإِسْلاَمِ. وَالثَّانِي، أَيِ النَّظَرِيُّ وَهُوَ مَا لَيْسَ مَعْلُوْمًا مِنَ الدِّيْنِ بِالضَّرُوْرَةِ، كَحُكْمِ وُجُوْبِ النِّيَّةِ فِى الْوُضُوْءِ مَثَلاً وَغَيْرِهِ مِمَّا يَقَعُ فِيْهِ ٱلْإِخْتِلاَفُ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ، فَهذَا هُوَ مَجَالُ ٱلْإِجْتِهَادِ عَلى أَسَاسِ أَدِلَّةِ الشَّرْعِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسَّنَّةِ وَٱلْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ لِلْقَادِرِ عَلى ذلِكَ بِاسْتِيْفَائِهِ لِشُرُوْطِ ٱلْإِجْتِهَادِ كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُه، وَغَيْرُ الْقَادِرِ يَتْبَعُ الْقَادِرَ كَمَا سَيَأْتِي أَيْضًا. وَلاَيَجُوْزُ الْحُكْمُ بِضَلاَلَةِ أَحدٍ أَوْ فِسْقِهِ فَضْلاً عَنْ شِرْكِهِ وَكُفْرِهِ لِمُخَالَفَتِه فِي أَمْرٍ اجْتِهَادِيٍّ، أَيْ فِيْمَا لَيْسَ مَعْلُوْمًا مِنَ الدِّيْنِ بِالضَّرُوْرَةِ، وَلاَيَجُوْزُ مُعَارَضَتُه وَمُمَانَعَتُه وَإِجْبَارُه عَلَى اتِّبَاعِ قَوْلِ غَيْرِهِ مِمَّا يُخَالِفُ اجْتِهَادُه بَلْ هُوَ مَعْذُوْرٌ فِى اجْتِهَادِهِ، مَا لَمْ يَكُنْ مُقَصِّرًا، كَأَنْ أَقْدَمَ عَلَى ٱلْإِجْتِهَادِ وَهُوَ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ. وَلِلْمُخْطِئِ أَجْرٌ وَاحِدٌ وَلِلْمُصِيْبِ أَجْرَانِ. رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيْحِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَه أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَه أَجْرٌ. وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ مِنْهَاجَ

السُّنَّةِ (ص ٣٠، ج ٣): قَوْلُ السَّلَفِ وَأَئِمَّةِ الْفَتْوى كَأَبِي حَنِيْفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَالثَّوْرِيِّ وَدَوُود بْنِ عَلِيٍّ لاَيُؤَثِّمُوْنَ مُجْتَهِدًا مُخْطِئًا لاَ فِي الْمَسَائِلِ الْأُصُوْلِيَّةِ وَلاَ فِي الْفَرْعِيَّةِ اهـــ. فَالْإِخْتِلاَفُ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ قَائِمٌ عَلَى التَّسَامُحِ وَالْأُخُوَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ. فَلَيْسَ لِلْمُخَالِفِ مُمَانَعَةُ مَنْ يُخَالِفُه فِي الْمَسَائِلِ الْفَرْعِيَّةِ الإِجْتِهَادِيَّةِ، وَلاَ تَفْسِيْقُه وَتَضْلِيْلُه، فَضْلاً عَنْ تَكْفِيْرِهِ وَتَشْرِيْكِهِ، لأَنَّ ذلِكَ لَيْسَ مِنْ ضَرُوْرِيَّاتِ الدِّيْنِ الَّتِي لاَ يَجُوْزُ الإِجْتِهَادُ فِيْهَا.

الثّاني

اَلْكِتَابُ الَّذِي هُوَ الْأَسَاسُ الْأَوَّلُ لأَحْكَامِ الشَّرْعِ هُوَ كَلاَمُ اللهِ تَعَالى الْمُنَزَّلُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ قَطْعِيُّ السَّنَدِ لاِتِّفَاقِ الْمُسْلِمِيْنَ كَافَّةً عَلى أَنَّ مَا بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ مُنَزَّلٌ مِنْهُ تَعَالى. أَمَّا دَلاَلَتُه فَفِيْهِ الْمُحْكَمُ وَالْمُتَشَابِهُ، أَوِ الْمُبَيَّنُ وَالْمُجْمَلُ. فَالْمُحْكَمُ مَا يَكُوْنُ ظَاهِرَ الدَّلاَلَةِ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا يَكُوْنُ غَيْرَ ظَاهِرِ الدَّلاَلَةِ. ثُمَّ الْمُحْكَمُ، أَوِ الْمُبَيَّنُ، قِسْمَانِ نَصٌ وَظَاهِرٌ.

فَالنَّصُّ مَا لاَ يَحْتَمِلُ الْخِلاَفَ، وَالظَّاهِرُ هُوَ الرَّاجِحُ مَعَ احْتِمَالِ الْخِلاَفِ. وَيُسَمَّى الْمَرْجُوْحُ الْمُقَابِلُ لِلظَّاهِرِ الْمُؤَوَّلَ. وَفِي الْكِتَابِ أَيْضًا الْعَامُّ وَالْخَاصُّ وَالْمُطْلَقُ وَالْمُقَيَّدُ وَالنَّاسِخُ وَالْمَنْسُوْخُ. وَلاَ يَجُوْزُ الْإِحْتِجَاجُ مِنَ الْكِتَابِ بِغَيْرِ النَّصِّ وَالظَّاهِرِ، إِلاَّ مَا بَيَّنَتْهُ السُّنَّةُ بَعْدَ ثُبُوْتِهَا أَوِ الْإِجْمَاعُ كَمَا لاَ يَجُوْزُ الْعَمَلُ بِالْعَامِّ أَوِ الْمُطْلَقِ إِلاَّ بَعْدَ الْفَحْصِ عَنِ الْخَاصِّ وَالْمُقَيَّدِ، وَلاَ يَجُوْزُ الْعَمَلُ بِالدَّلِيْلِ إِلاَّ بَعْدَ الْفَحْصِ عَنْ مُعَارِضِهِ أَوْ نَاسِخِهِ، لأَنَّ الدَّلِيْلَ لاَ يَكُوْنُ دَلِيْلاً بِدُوْنِ ذلِكَ.

وَبِسَبَبِ وُجُوْدِ هذِهِ الْأَقْسَامِ الْكَثِيْرَةِ فِى الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا أَمْكَنَ لِكُلِّ ذِيْ قَوْلٍ حَقًّا كَانَ أَوْ بَاطِلاً أَنْ يَسْتَنِدَ فِي تَدْعِيْمِ قَوْلِهِ إِلى ظَاهِرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَرُبَّمَا اسْتَنَدَ إِلَى الْحَقِيْقَةِ وَغَفَلَ عَنْ قَرِيْنَةِ الْمَجَازِ، أَوِ اسْتَنَدَ إِلَى الْمُطْلَقِ أَوِ الْعَامِّ وَغَفَلَ عَنِ الْمُقَيَّدِ أَوِ الْخَاصِّ إِلى غَيْرِ ذلِكَ. فَالْوَعِيْدِيَّةُ مَثَلاً، وَهُمُ الْمُنْكِرُوْنَ لِلْعَفْوِ الْمُوْجِبُوْنَ لِلْمُؤَاخَذَةِ عَلَى الْمَعَاصِى، يُمْكِنُهُمُ الْإِسْتِدْلاَلُ بِآيَةِ {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

يَرَه}. وَالْوَعْدِيَّةُ، وَهُمُ الْقَائِلُوْنَ بِرَفْعِ الْمُؤَاخَذَةِ بِالْكُلِّيَّةِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُعَاقِبُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، يَسْتَدِلُّوْنَ بِآيَةِ {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِيْنَ أَسْرَفُوْا عَلى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوْا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ. إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ جَمِيْعًا.والمثبتون للرؤية في الاخرة استندوا الى آية {وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة} ونافون الى قوله {لاتدركه الابصار} لن تراني.والجبرية الى آية كثيرة.مثل قةله تعالى{وخلق كُلّ شيءٍ} {قل كل من عندالله} {يضل من يشاء ويهدى من يشاء} {ان الله لايهدى القوم الكافرون}. والقدرية الى مثلها كقوله تعالى {يريدالله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ومالله يريد ظلما للعباد}، اوللعالمين {وسيقول الذين اشركوا لوشاءالله ماشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتي ذاقوا بأسنا الآية} {فمن شأ تخذ الى ربه سبيلا}. والقائلون بالتجسيم على الحقيقة بالجهة يستندون الى الايات التي فيها اليد والعين والوجه والنافونَ الى قوله تعالى {ليس كمثله شئ}. والمجوزون المعصية

على الانبياء الى ايات {وعسى آدم، وظن داود انّما فتناه فاستغفرربه الآية} {سبحانك اني كنت من الظالمين} {ليغفرلك ماتقدم من ذنبك وماتأخر}. والنافون الى قوله تعالى {لا ينال عهد الظالمين}.

الثالث

السُّنَّةُ قَوْلُ المعصوم رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَوْ فِعْلُه أَوْ تَقْرِيْرُه. وَشَرْطُ اْلإِحْتِجَاجِ بِالْفِعْلِ ظُهُوْرُ الْوَجْهِ. فَلَوْ فَعَلَ ﷺ شَيْئًا وَجُهِلَ وَجْهُه عُلِمَ عَدَمُ تَحْرِيْمِهِ مَعَ تَرَدُّدِهِ بِيْنَ الْوُجُوْبِ وَالنَّدْبِ وَالْكَرَاهَةِ وَلَمْ يَثْبُتْ وَاحِدٌ مِنْهَا. ثُمَّ إِنَّ السُّنَّةَ لاَ تَثْبُتُ إِلاَّ بِالْخَبَرِ الْمُتُوَاتِرِ وَهُوَ إِخْبَارُ جَمَاعَةٍ كَثِيْرَةٍ يَمْتَنِعُ فِى الْعَقْلِ تَوَاطُؤُهُمْ عَلَى الْكَذِبِ والمخفوف بقرائن توجب القطع بصدورها. وَلاَ يَثْبُتُ بِخَبَرِ الْفَاسِقِ وَلاَ مَجْهُوْلِ الْحَالِ لِعَدَمِ إِفَادَتِهِ الْعِلْمَ وَعَدَمِ الدَّلِيْلِ عَلَى حُجِّيَّتِهِ، بَلِ الدَّلِيْلُ قَائِمٌ عَلى عَدَمِهَا مِنْ قَوْلِهِ تَعَالى: {إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوْا} الآيَةَ، وَلِلنَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ الظَّنِّ. أَمَّا خَبَرُ الثِّقَةِ الْعَدْلِ، مَعَ عَدَمِ إِفَادَتِهِ الْعِلْمَ، فَقَدِ اخْتُلِفَ فِي حُجِّيَّتِهِ، فَمَنَعَهَا قَوْمٌ لأَصَالَةِ عَدَمِ حُجِّيَّةِ

الظَّنِّ، وَأَثْبَتَهَا آخرُوْنَ وَاسْتَدَلُّوْا بِأَدِلَّةٍ مَذْكُوْرَةٍ فِى اْلأُصُوْلِ. وَعَلَى الْقَوْلِ بِحُجِّيَّتِهِ لاَ بُدَّ مِنْ ثُبُوْتِ الْعَدَالَةِ إِمَّا بِالْعِلْمِ أَوِ بِشَهَادَةِ عَدْلَيْنِ. وَفِي كِفَايَةِ الْعَدْلِ الْوَاحِدِ خِلاَفٌ. وَالْعَدَالَةُ مَلَكَةٌ تَبْعَثُ عَلَى اجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ وَعَدَمِ اْلإِصْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ وَتَرْكِ مُنَافِيَاتِ الْمُرُوْءَةِ الْكَاشِفَةِ عَنْ عَدَمِ مُبَالاَةِ فَاعِلِهَا بِالدِّيْنِ. وَإِثْبَاتُ عَدَالَةِ مَنْ بَعُدَ عَنَّا زَمَانُهُمْ مِنْ أَصْعَبِ اْلأُمُوْرِ لاِنْحِصَارِ اْلأَمْرِ فِي عِلْمِنَا بِهَا فِي إِخْبَارِ الْغَيْرِ، وَهُوَ مَفْقُوْدٌ غَالِبًا إِلاَّ مِنْ إِخْبَارِ الْبَعْضِ الْمُسْتَنِدِ إِلى الظُّنُوْنِ وَاْلإِجْتِهَادَاتِ الَّتِي تَخْتَلِفُ كَثِيْرًا، لاَعَلَى الْمُمَارَثَةِ وَالْمُعَاشَرَةِ، مَعَ اخْتِلاَفِ اْلآرَاءِ فِيْمَا يُوْجِبُ الْجَرْحَ وَمَا لاَ يُوْجِبُهُ، وَلِذلِكَ وَقَعَ اْلإِخْتَلاَفُ كَثِيْرًا فِي الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيْلِ، فَمَنْ عَدَّلَه وَاحِدٌ جَرَحَه آخرُ. وَالْقَاعِدَةُ أَنَّ الْجَرْحَ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّعْدِيْلِ لِجَوَازِ اطِّلاَعِ الْجَارِحِ عَلى مَا لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ الْمُعَدِّلُ. فَعُلِمَ مِنْ هذَا أَنَّ التَّسَرُّعَ إِلَى الْقَوْلِ بِمَضْمُوْنِ الْخَبَرِ بِمُجَرَّدِ وُجُوْدِهِ فِي كُتُبِ الْحَدِيْثِ أَوْ بِمُجَرَّدِ قَوْلِ وَاحِدٍ إِنَّه صَحِيْحٌ وَتَخْطِئَةِ الْغَيْرِ بِذلِكَ فَضْلاً عَنِ الْحُكْمِ بِكُفْرِهِ أَوْ شِرْكِهِ خَطَأٌ مَحْضٌ. وَيُشْتَرَطُ لِجَوَازِ الْعَمَلِ بِالْخَبَرِ عَدَمُ مُخَالَفَتِهِ لِدَلِيْلٍ قَطْعِيٍّ مِنْ إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِيْنَ وَسِيْرَتِهِمْ أَوْ

نَصٍّ فِى القرآن أَوْ نَصِّ خبَرٍ آخرَ مُتَوَاتِرٍ. بَلْ وَ عَدَمُ مُخَالَفَتِهِ لِلْمَشْهُوْرِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِيْنِ مَعَ كَوْنِهِ بِمَرْأًى مِنْهُمْ وَمَسْمَعٍ، وَعَدَمُ مُعَارَضَتِهِ بِدَلِيْلٍ أَقْوى مِنْهُ بِأَحَدِ الْوُجُوْهِ ٱلآتِيَةِ فِى الام الرَّابِع و الْخَبَرَ فِيْهِ ٱلأَقْسَامُ السَّابِقَةُ فِى الْكِتَاب كُلُّهَا. وَمَا يُحْتَجُّ بِهِ مِنَ الْكِتَاب مِنْ تِلْكَ ٱلأَقْسَامِ يُحْتَجُّ بِهِ مِنَ الْخَبَرِ، وَمَا لاَ فَلاَ. وَيُشْتَرَطُ فَى الْعَمَلِ بِالْخَبَرِ مَا اشْتُرِطَ فَى الْعَمَلِ بِالْكِتَاب مِمَّا مَرَّ فِى الامر الثاني. وَبِسَبَبِ وُجُوْدِ هذِهِ ٱلأَقْسَامِ أَمْكَنَ لِكُلِّ ذِي قَوْلٍ حَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ ٱلإِسْتِنَادُ إِلى ظَاهِرِ رِوَايَةٍ. كما يعرفه المتتبع لاقوال العلماء و أدلتهم. والحاصل ان كل من يريد العناد والمعصية فله مدرك يتشبث به الكتاب او السنة مالم يكن له حاجب من تقوى الله. والمصنف الطَّالب للحق لا يتمسك بظواهر الآيات والاحادث مالم يكن له يبحث عن معارضتها من عقل او نقل او اجماع عن سند الحديث ويستفرغ الوسع في فهم مضاه.

الرابع

اَلأَخْبَارُ الْمُتَعَارِضَةُ كَثِيرَةٌ لأَسْبَابٍ، مِنْهَا الْخَطَأُ فِي فَهْمِ الْمُرَادِ أَوْ سَمَاعِ اللَّفْظِ أَوِ ٱلإِطِّلاَعِ عَلَى العَامِّ أَوِ الْمُطْلَقِ أَوِ

الْمَنْسُوخِ وَعَدَمِ الْإِطِّلاَعِ عَلَى الْخَاصِّ أَوِ الْمُقَيَّدِ أَوِ النَّاسِخِ أَوْ غَيْرِ ذلِكَ. وَلِلتَّعَارُضِ عَلاَجَاتٌ وَرَدَتْ بِهَا الْأَخْبَارُ وَالرِّوَايَاتُ وَقَالَ بِهَا عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ. مِنْهَا الْعَرَضُ عَلى كِتَابِ اللهِ وَالثَّابِتِ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيُؤْخَذُ بِمَا وَافَقَ وَيُتْرَكُ مَا خَالَفَ. وَمِنْهَا الْمُوَافَقَةُ لِلإِجْمَاعِ أَوْ سِيرَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوِ الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَوِ الْمُوَافَقَةُ لِمَا عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ. وَمِنْهَا التَّرْجِيحُ بِحَسَبِ السَّنَدِ بِكَوْنِ رُوَاتِهِ أَوْثَقَ أَوْ أَحْفَظَ أَوْ أَكْثَرَ أَوْ بِحَسَبِ الدَّلاَلَةِ بِكَوْنِهِ أَظْهَرَ أَوْ بِحَسَبِ الْعِبَارَةِ بِكَوْنِهِ أَفْصَحَ وَأَحْسَنَ سَبْكًا أَوْ غَيْرَ ذلِكَ.

الخامس

اَلْكِتَابُ وَالْخَبَرُ عَرَبِيَّانِ، وَفِيهِمَا كَسَائِرِ كَلاَمِ الْعَرَبِ الْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ. وَقَدْ كَثُرَ الْمَجَازُ فِى اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ جِدًّا. وَمِمَّا جَاءَ مِنَ الْمَجَازِ فِى الْقُرْآنِ: {يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}،

{وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا}،

{وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي}،

{فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}،

{وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ}،

{يَا حَسْرَةَ عَلى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ}،

{كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَه}،

{أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ}،

{وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ}،

{الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى}،

{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ}

وَالْقَرِينَةُ عَلَى الْمَجَازِ فِى الْكُلِّ عَدَمُ إِمْكَانِ إِرَادَةِ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ الْمُسْتَلْزِمِ لِلتَّجْسِيمِ وَالتَّحَيُّزِ وَالْوُجُودِ فِي مَكَانٍ دُونَ غَيْرِهِ وَكَوْنِهِ مَحَلاًّ لِلْحَوَادِثِ. وَمِمَّا جَاءَ مِنَ الْمَجَازِ فِى السُّنَّةِ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ النَّارَ لاَ تَمْتَلِئُ حَتّى يَضَعَ اللهُ قَدَمَه فِيهَا". لقد عجب الله وضحك من فلان وفلانه، وقرينه مامرَّ. والقرينه امَّا مقالية او حالية فتخفى على بعض الأفهام ويقع فيها الاشتباه وقد يكثر استعمال اللفظ في المعنى المجازي حتى يصير مجازا مشهورا لا يحتاج الى قرينة غير

الشهرة وقد لكثر حتى يبلغ درجة الحقيقة فسمى منقولا. ثم المجاز قد يكون كما مرَّ وقد يكون فى للاسنادكأنبت الربيع البقل و صام نهاره، وجرى النهر، وبنى الامير المدينة وغير ذلك فأسند الانبات الى الرابع مجازا باعتبار أنه زمان له وحقه ان يسند الى الله. والصوم الى النهار باتبار انه زمانه وحقه أن يسند الى الشخص والجرى الى النهر باتعبار انّهمكانه، وحقه ان يسندالماء. والبناء الى الامير باعتلار انه سبب آمر. وحقه ان يسند الى البناء. ومما جاء في القرآن الكريم{فما ربحت تجارتهم} اي فما ربِحوا تجلرتهم. {واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا} والذى زادهم هوالله والايات سبب. {يذبّح ابنأهم والذي ذبهم أتباع فؤعون} وهو سبب آمر. {يترع عنهما لبسهما} والنازع هوالله واليوم سبب لكثرة أهواله. {يا هامن ابن لي صرحا} والبناء فعل العملة وهامن سبب الآمر. {فلا يكرجنكما من الجنة} والمخرج الله وابليس سبب.{ ثم يأتي بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهنّن} والآكل هو اهل السنين وهي ذمان للأكل. {وأخرجت الارض اثقالها} والمخرج الله والارض مكان للاخراج. ولابد

للمجاز في الاسناد ايضا من قرينة لفظية او عقلية كقولك الموّحد انبت الرابيع البقل فانَّ كونه موحدا كاف في حمل كلامه على المجاز في الاسناد ومثله لو قال المسلم يا رسول الله اغفرلي أَو اشف ولدي أو طول عمري او ارزقني او رد غائبي او نحو ذلكَ. فيجب حمل كلامه على المجازفي الاسناد كن سببا في ذلك يشفاعتك ودعاء الله لي والقرينة على ذلك كونه مسلما موحّدا وَلا يجوز يخطئته في هذا اللقظ فضلا عن الحكم بكفره او شركه الموجب لحل دمه وماله الا من غبي غير عارف بأساليب كلام العرب أو معاند.

ثم انّه قد اختلف في المعاني الحقيقة لا لفظ كثيرة وارادة في الكتاب والاخبار مثل صيغة افعل هل هي للوجوب او المندوب او مشتركة بينهما. وصيغة لا تفعل هل هي للحرمة أو الكرهة أو مشتركة بينهما. وكذلك مادة الامر والنهي وما يشتق منها الى غير ذلك مماتضمنه كتب الاصول وكيفما قلنا فقد كثر اشتمال اللفظتين في النّدب والكراهة كثرة مفرطة بحيث يصعب الحكم بالوجود او الحرمة بمجرّد ورودهما اذا لعلهما صارا مجازا مشهورا في ذلك خصوصا بملاحظة خصوصيات

المقامات المبعدة للحمل على الوجوب أو التحريم.

وفي الكتاب أيضا كسائر كلام العرب التصريح والكناية. فالتصريح كقولنا فلانا كريم، والكناية وهي ذكر اللازم وارداة الملزوم كقولنا كثير الرماد وجبان الكلب كناية عن كرمه لان الكرم يلزمه كثرة الطبخ للاضياف المستلزم كثرة الرماد ويلزمه كثرة الطراق المستلزم جبن الكلب عادة.

وفي الكتاب والخبر أيضا كسائر الكلام العرب المبالغات كقوله تعالى: عبد مملوكا لايقدر على شئ. يكاد البرق يخطف ابصارهم. وفي قوله صلى الله عليه و سلّم لو أُمرت احدا بسجود لاحد لأُمرت المرأة بالسجود لزوجها. لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد. لايزني الزاني وهو مؤمن (وفيه نفي الايمان ايضا عن السّارق وشارب الخمر والقاتل وسيأتي في الأمر السادس). وقول علي كرم الله وجههُ مازال رسول الله صلى الله عليه و سلّم يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وما زال يوصيني بالمرأة حتي ظننت أنه يحرم طلاقها وتكثر المبالغة لدى الشعراء. وهذا مقسع لا يمكن الاحاطة بِأطرافه. و لم تر أحدا قال أنهم مهما بالغوا قد خرجوا من طريقة العرب

و منهاج كلامهم. والمبالغات ايضا وافعة في في لسان العرب والمحاوراتهم بل في كلّ لسان. ومن المبالغات الوقعة في الكتاب والخبر تسمية الذنب او العظيم منه كفرا وفاعله كافرا ونحو ذلك كما يأتي في الامر السادس. واطلاق المعصية على فعل المكروه خصوصا اذا صدر من الانبياء والاولياء ولكن ذلك كما قال بعض العلماء بلسان الورع والتقوى لا بلسان الفقه والتقوى ومنه المعاصى المنسوبة في القرآن الى الانبياء عليهم السلام لعد قيام الدليل على وجوب عصمتهم وامتناع صدور المعاصى منهم.

السَّادس

ليست جميع المعاصى ولا الكبائر كفرا خلافا لما يحكي عن الخوارج لعدم الدّليل على ذلك. ومتى حكم بالاسلام لايحكم بغيره الاَّ بيقين. ومضت على ذلك سيرة النبي صلى الله عليه و سلّم والصحابة والتابعين.لوكانت المعاصى والكبائر منها كفرا لبطلت الحدود والتعزيرات و لم يبق لها ثمرة. فاِنّ المرتد يستتاب والا قتل فلا معنى لا قامة الحد عليه او تعزيره وللزم الحكم بارتداد جميع الخلق الذين لا يسلمون من المعاصى بل

الكبائرينج منه الا القليل. ولو كان كذلك لبينته العلماء و كتبها ونادت به الوعاظ والخطباء وعرفه كل احد وصار من ضروريات الدين لشداة الحاجة اليه من عموم المكلفين. وكون المرتد له احكام خاصة به. يلزم على كل المكلف معرفتها وترتيبها عليها. وروى عبادة الصامت عن النبي صلى الله عليه و سلّم خمس صلوات كتبهن الله على العباد.من أتي بهن كان له عندالله عهد ان يدخله الجنّة. ومن لم يأت بهن فليس له عندالله عهد.ان يشأ عذبه ان يشأ غفرله (الحديث في الهدية السنية ص ٦٦) وهذا دليل على ان ترك الصلاة ليس كفرا لان كفر لايغفره الله (ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء). هذا ان لم مستحلا لمن ثبت وجوبه او تحريمه بضرورة الدين والا كان كافرا. ولكن قد يطلق على كثير من الذنوب اسم الكفر أو الشرك أو النفاق أو نحو ذلك تعظيما للذنب وتحذيرا منه وتشبيها المؤاخذته لعظمها بمؤخذة الكفر وبلانا لان مقتضى الاسلام والايمان ان لا يفعل ذلك الذنب أو لأنه ربما انجر يالآخرة الى ذلك كما ورد ان في قلب المؤمن نكتة بيضاء فإن عصى الله اسواد منها جانب وهكذا الى يتم

سوادها فذلك الذى طبع الله عليه. كما جاء تهديد بالناروالل‍عن على ترك بعض المستحبات أو فعل بعض المكروهات لتأكيد الاستحباب حتي كأنها واجبة ولشدة الكراهة حتى كأنها محرمة أو لانّه التهاون بها ربما ينجّر الى التهاون بالواجب و فعل المحرّم كما ورد ان من ترك فرق شعره فرق بمنشار من النار. ونظير ذلك اللعن على فعل المكروه كلعن المحلّل والمحلَل له ولهن النائم في البيت وحده والمسافروحده وآكل طعامه وحده كمايأتي في فصل اتخاذ القبور مساجد. و اطلاق المعصية على فعل المكروه في المعاصى المنسوبة الى الانبياء عليهم السلام. ومما ورد من اطلاق الكفر ونحوه على الذنب في القرآن قوله تعالى: ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فاِنّ الله غني عن العالمين. وفي الحديث قوله صلى الله عليه و سلّم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في النسب والنياحة على الميت. ايما عبد ابق من موالية فقد كفر حتى يرجع اليهم (روه الثلاثة مسلم صفحة ٤٠٢ الجزء الاول بهامش ارشاد الساري) و في جامع الصغير للسيوطي (ص ٣٣٦ ج٣) عن الطبراني في الكبير

من أرض سلطانا مما يسخط ربّه خرج من دين الله. قال العزيزي في الشرح ان استحل و الا فهو زجرو تهويل انتهى. وقوله صلى الله عليه و سلّم بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة (رواه مسلم) العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر (رواه أحمد وأهل السنن) بين العبد والكفر والايمان الصَّلاة فاذا تركها فقد كفر واشرك. ومن تركها اي الصلاة عمدا فقد خرج من الملة، ومن تركها متعمدا فقد برئت منه ذمةالله (رواه أحمد) أنس عنه صلى الله عليه و سلّم لا دين لمن لا عهدله. أبة هريرة عنه صلى الله عليه و سلّم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يقتل حين يقتل وهو مؤمن. ابو هريرة عنه صلى الله عليه و سلّم عةمة النفاق الكذب وسؤالخلق والخيانة. عبدالله بن عمر عنه ﷺ ان النفاق عبارة عن اربع الخيانة والكذب والغدر والفجور. أبو هريرة عنه ﷺ المراء في القرآن كفر. وعنه ﷺ لا يفوت حضورالجماعة الا منافقا. أبوذر عنه ﷺ الرقى والتمائم من الشرك. ابو هريرة عنه ﷺ من قال مطرنا بنؤ كذا فهو كافر، الرياء الشرك الاصغر. أبو سعيد عنه صلى الله عليه و سلّم

الرياء شرك خفي. عمر عنه صلى الله عليه و سلّم كسب الرباء شرك. شداد ابن اوس عنه صلى الله عليه و سلّم من صلّى يرائي فقد أشرك.ابن مسعود عنه ﷺ قتال المسلم كفر. روى أحمد بن حنبل في مسنده (ص١٨ ج٢) عنه ﷺ اذا أحدكم قال لأخيه يا كافر فقد باءبها احدهما وروى عدّة رويات بهذا المعنى او قريبا منه. روى ذلك غيره أيضا. وماذكرناه احسن وجه للجمع بين حديث عبادة المتقدم وهذا الاخبار يرشد اليه حديث ابي هريرة السابق لا يزني الخ حديث نفي الايمان عنه في حال تلبسه بالمعصية لا مطلقا فدل على المراد ان تلبسه بالمعصية خلاف مقتضى الايمان فنفى الايمان عنه في تلك الحال مجاز تشبيها لمن لا يعمل بمقتضى ايمانه بغيرالمؤمن نظير لا صلاة لجار المسجد الاَّ في المسجد. فتكون هذه الرواية شاهدا للجمع المذكور.

السابع

الاجماع اتفاق العلماء اهل الحل والعهد من أمة محمّد ﷺ على امر ديني في عصر من أعصار وهو حجة لما روي عنه ﷺ لاتجتمع أُمتي على الخطأ. الاجماع يكشف عن ان المجمع عليه

مأخوذ من صاحب الشرع كما يستكشف رأي ابي حنيفة باتفاق الحنيفة والشافعي باتفاق الشافعية وغير ذلك وفي حكم الاجماع سيرة المسلمين والفرق بينهما ان الاجماع اتفاق قوليّ والسيرة اجماع عمليّ فيكشفعن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع يدا عن يد ويشمله حديث لاتتجمع أمتي على ضلالة، وكثيره العلماء لا تمنع من اتفاقهم لا عقلا ولا نقلا واطلاع عليه ايضاممكن وواقع بملاحظة الفتاوى وعمل المسلمين وعدم نقل الخلاف وقرائن أخر فان نعلم علما ضروريا بان البنتين لهما الثلثان في الميراث بالفرض اذا انفردتا عن الاخوة لاالنصف وان لم نشافه جميع العلماء ونطلع على فتاواهم تفصيلا. وامثال ذلك في شرعيات كثير.كما نعلم ضروريات باجماعهم على استجاب زيارة النبي صلى الله عليه و سلّم وتعظيم قبره وحجرته ورجحان بنائها والتبرك بها وجواز بناء القبور وبناء القباب عليها لاستمرار سيرتهم على ذلك قولا وفعلا من صدر الاول الى اليوم وعدم النهي احد عنه من الصحابة فمن بعدهم (قبل الوهابية)بل الانصاف انّه ما من مسئلةاتفاق عليها المسلمون قولا و عملا من جميع المذاهب مثل هذه المسألةُ.

الثَّامن

الاصل الاباحة فيما لا نصّ فيه و لم بقم له دليل على تحريمه لقوله تعالى: {خلق لبم ما في الارض جميعا اي لانتفاعكم }

و قوله تعالى {وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا وبعث الرسول } كفاية عن وصول الاحكام والا فبمجرد البعث قبل تبليغ الاحكام لا تتم به الحجة. وقوله تعالى {قل لا أجد فيما أوحي اليَّ محرَّما على ما طاعم يطعمه الا ان يكن ميتة او دما مسفوحا او لحم خترير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله} (الاية و امثالها من الايات).

التاسع

البدعة ادخال ما ليس من الدين وهو حرام فقد ورد الناصّ بان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. واما تشخيصها فهو مما بقع فيه الاشتباه اما خطأ في الدليل المستدل به على ان ذلك من الشرع او ليس منه. وكم من سنة حسنة توهم بعض الناس انه لابد من ورود النص بها بالخصوص مع دخولها في عمومه او اطلاقه كما وقع في ذمانا من بعض المتشددين فقالوا ان

القيام عند ذكر ولادة النبي صلى اللع عليه و سلّم بدعة لعدم ورود النصّ به والحال انه يكفي فيه عمةم مافهم من الشرع من لزوم احترام النبي صلى اللع عليه و سلّم وجحان تعظيمه حيا و ميتا بكلّ انواع الاحترام التي لم ينصّ الشرع على تحريمهل ثم ان الببدعة لا تكون بدعة الا اذا فعلت بعنوان انها من الدين فما قاله بعضهم من ان ما اصطلح عليه بعض المسلمين فى هذه الاعصار من ترك الاعمال يوم الجمعة بدعة لانه لم ينص الشرع على ذلك بل امر بالعمل بعد قضاء صلاة الجمعة اشتباه لان الترك هنا بعنوان الراحة او بعنوان مصلحة اُخرى دينية او دنياوية كاِظهار حرمة يوم الجمعة وغير ذلك لا بعنوان انه في نفسه عبادة و طاعة. ومن ذلك توهم بعض الناس ان التذكير والترحيم بدعة لانه لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه و سلّم صلى اللع عليه و سلّم اذ يكفى في مشروعيته عموم مادل على رجحان ذكرالله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه و سلّم والدعاء ونحو ذلك وتخصيصه ببعض الامكنة والازمنة لفائدة مع عدم اتيانه بعنوان الخصوصية اي بعنوان انه مأموربه بالخصوص في هذا الزمان والمكان لا

يجعله بدعة وكذلك جملة اشياء مما جعله بدعة كما سيأتي بيان ذلك.

العاشر

الافعال تختلف احكامها باختلاف القصد الموجب لاختلاف العنوان وتبدل الموضوع وباختلاف الزمان والامكانة والاحوال والاشخاص الموجب لذلك وهذا معنى مااشتهر ان الاحكام تتغير الازمان، امااختلافها باختلاف القصد فكضرب اليتيم فانه محرم بقصد الايذاء راجح بقصد التأديب وكغيبة المسلم فانها محرمة بقصد الانتقاص، واجبة بقصد تصح المتشير. واما اختلافها باختلاف الازمان والاشخاص والاحوال فكلبس الازرق مثلا حيث يعد زينة في بعض الازمان او الامكنة فيحرم على الزوجة في وقت الحداد ويستحب لذا ارادت تزين لزوجها. وكلباس النساء المحرّم على الرجال ةبالعكس. وقد يكون ترك القيام للشخص في زمان او مكان او بلاد يعد اهانة له فيحرم وفي زمان آخر او بلاد أُخرى لابعد فلا يحرم.

الحادي عشر

قد يتعارض عنوان واجب مع عنوان محرم فيقدم الاهم كلمس بدن الاجنبية فانه محرم ولكن اذا توقف عليه انقتذها من الغرق او ثناؤها من المريض فيجوز او يجب وكالنظر الر عورة الغير فهو محرم ويباح للطبيب.

الثاني عشر

تكفير المقرّ بالشهادتين المتبع طريقة المسلمين استحلال دمه وماله وعرضه عظيم فلا يجوز الاقدام عليه واعتقاده اسنادا الى امور نظارية اجتهادية يكثر الخطأ فيها واخبار ظنية محتملة للكذب والتأويل. ولا يجوز تكفير المسلم الا بشئ قطعي يوجب خروجه عن دين الاسلام وكانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلّم والصحابة والتابعين وتابعى التابعين معاملة الناس على اكتفاء باظهار الشهادتين والالتزام باحكام الاسلام. اخرج البخارى عنه صلى الله عليه وسلّم أُمرت ان اقاتل الناس حتى يقولون لااله الاالله فإذا قالوها وصلواتها واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت علينا دماؤهم واموالهم. وعنه صلى الله عليه وسلّم أُمرت ان أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لااله الا الله محمد رسول الله ويقيمواالصلاة ويؤتوا الزكاة فان فعلوا ذلك

عصموا مني دماءهم واموالهم وحسابهم على الله. وعنه صلى الله عليه وسلّم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكا ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمةالله وذمةرسوله. وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلّم أتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء فقال مابال هذا؟ قالوا يتشبه بالنساء فنفاه الى اليقيع فقيل يا رسول الله الاتقتله فقال نهيت عن قتل المصلين. فيستفاد من هذه الاخبار انه بعد اظهار الشهادتين يبنى على الاسلام مالم يعلم شئ ينافيه ولا يلزم التفتيش والتجسس بل نهى الله عنه. نعم يجوز الحكم بكفره اذا ثبت ما ينافيه باليقين والقطع لا بالاجتهادات الظنية والاخبار الظنية وانتهى احتمال التأويل.

الثالث عشر

القول او الفعل الصدر من المسلم وله وجهان على احدهما يكون صحيحا وعلى الآخر فاسدا يجب حمله على وجه الصحيح ولا يجوز حمله على وجه الفاسد الا مع العلم وعلى ذلك سيرة المسلمين واجماعهم وبه انتظام امر معاشهم ومعاملتهم، مثلا لو رأينا المسلم يضرب يتيما وامكن ان يكون

ضربه له تأديبا و ايذاء وجب حمله على وجه الصحيح و لم ينتقض بذلك عدالته ان كان عدلا. وكذلك لو رأيناه يضاجع امرأة و لم نعلم انها زوجته او اجنبية. او يشرب شرابا أحمر و لم نعلم انه خل او خمر. ولو صدر من المسلمفعل او قول وله وجه او معنى يوجب الارتداد وكان يمكن حمله على وجه او معنى صحيح لا يوجب الارتداد لا يجوز الحكم لارتداده ووجب حمل فعل على وجه الصحيح و قوله على المعنى الصحيح ولو كان احتمال قصده لذلك المعنى ضعيفا قضلا عمالوكان ظاهرا ومساويا في الاحتمال. فاذا استغاث مسلم بنبي لو ولي واحتمال ان تكون استغاثته لطالب ان يدعوله ويشفع له الى الله لم يجزالحكم بارتداده لكجرد احتمال ارادته معنى يوجب الارتداد.

الرابع عشر

العبادة في اللغة الذل والخضوع ومنه بعيرمعبد اي مذلل. وطريق معبود اي مسلوك مذلل ونقلت في الشرع الى معنى

جديد او اريدبه معنى خاص من المهلني اللغوية كما نقلت ابفاظ كثيرة غيرها كالصلاة والزكاة والصيام والحج التي كانت في اللغة المطلق الدعاء والنوّ والامساك والقصد ونقلت الى معان جديدة. وذلك لان الالفاظ اللغوية قد تبفى في الشرعى على معانيها القديمة كالبيع والشراء. وقد تنقل عنها في الشرعي الر معان جديدة. فاذا لم تنقل وجب حملها على معانيها القديمة اذا لم يعلم انه اريد بها معنى خاص منها سواء ورادت في الكتاب والخبر او غيرهما. واما اذا نفلت عن المعاني الاولى الى معان الجديدة فلابد من معرفة تلك المعانى بما ثبت عن الشارع فان عرفت واجب الحمل عليها والا بقيت تلك الالفاظ بحملة وكذا لو علم عدم ارادة العانى القديمة وانها استعملت في المعانى الجديدة المحدودة مجازا فلابد من معرفة تلك المعانى ايضا والا كانت من المجمل المحتاج اى بيان فالعبادة بمعناها اللغوى الذى هو مطلق الذل والخضوع والانقياد ليست شركا ولا كفرا قطعا والازام كفلر الناس جميعا من لدن آدم الى يومنا هذا لان العبادة بمعنى الطاعة والخضوع لا يخلو منها احد فيلزم كفر المملوك والزوجة الى الولد والخادم والاجير والرعية والجنود

باِطاعة المولى والزوج والاب والمخدوم والمستأجر والملك والامراء وجميع الخلق لا طاعة بعضهم بعضا. بل كفر الانبياء لا طاعة اباءهم وخضوعهم لهم. وقد وجب الله طاعة الابوين وخفض جناح الذل لهما وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلّم واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين واطاعة الزوجة لزوجها حتى ورد لو امرت بالسجود لاحد لأمرت المرأة بالسجود لزوجها واطاعة الانبياء وجعل نبينا صلى الله عليه وسلّم اولى بالمؤمنين من أنفسهم وامرنا باطاعته واطاعة اولى الامر منا وقرنها بالطاعته تعالى الى غير ذلك.

ثم انه ورد في الشرع اطلاقا لعبادة على مطلق المطيع او الطاعة فورد ان المعاصى عبد الشيطان وعبد الهوى. وقال تعالى افمن اتخذ الهه هواه، اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله مع ما ورد انهم ماصاموا ولا صلوا ةانّما حرموا عليهم حلال واحلوالهم حراما فاتبعوهم وان الاتسان عبد الشهوات وان من اصغى الى ناطق فقد عبده فان كان عن الله فقد عهدالله وان كان ينطق عن غيرالله فقد عبد غيرالله ولا ريب ان هذه الامور التى سميت عبادة لاتوجب الكفر والارتداد والا لم

يسلم منه احد والضرورة قاضية بخلافه.

تتمة

الرابع عشر

ثم من جملة العبادة السجود وقد أمرالله الملائكة بالسجود لآدم وسجد يعقوب وزوجته وبنوا ليوسف كما أخبر عن ذلك القرآن الكريم فدل ان السجود ليس في نفسه قبيحا وممنوعا منه موجبا لشرك والكفر وان سمى عبادة والا لم يأمرالله تعالى به وانه ليس مثل اتخاذ الشريك للبارى في جميع صفاته فان هذا لا يعقل ان يأمرالله به او يجيزه ولا يمكن ان يكون شركا وكفرا. وعلم من ذلك ايضا انه ليس مطلق الخضوع والتعظيم حتى السجود لغير الله قبيحا في نفسه وشركا وكفرا.

ثم انه اراد اطلاق العبادة على دعاءالله تعالى في القرآن بقوله تعالى أُدعوني استجب لكم ان اللذين يستكبرون عن عبادتي. وفي الاخبار بقوله صلى الله عليه وسلّم الدعاء مخ العبادة زلكن ليس المراد بالدعاء هنا معناه اللغوى قطعا وهو النداء والا لكان كل من نادى احدا وسأله شيئا عبداله بل المراد

نداءالله تعالى وسؤاله والقيام بغاية الخضوع والتذلل بين يديه وانزال حاجات الدنيا والآخرة به على انه الفعل المختار والمالك الحقيقي والمؤثر الحقيقي في امور الدنيا والآخرة والمتصرف فيها كما يشأ فمن دعاء مخلوقا على هذا النحو كان عابداله. اما من دعاه ليشفع له الى الله بعد ثبوت ان الله جعل له الشفاعة فلا يكون عابداله. ولا فاعلا مالايحل فظهر انه ليس كل ما يطلق عليه اسم العبادة موجبا للشرك والكفر اذا وقع لغيرالله بل ولا محرما الا ان ينص الشرع على تحريمه وان مطلق الخضوع والانقياد لغيرالله لا يوجب ذلك ولو قرض انه سمي عبادة. وان العبادة التي يترتب عليها ذلك ليست اللغوية بل عبادة خاصة لايمكن معرفتها الا ببيان الشرع وبدون بيانه تكون مجملة وانه لا يجوز ترتيب حكم الشرك والكفر بل ولا تحريم على ما يسمي عبادة الا لذا علم انها من تلك العبادة الخاصة، ةمع الشك او الظن لايجوز فاذا فرض ورود النهي عن عبادة غيرالله مما علم انه المنهي عنه حرم ومالم يلحقه الحكم كالتفكير (وهو وضع احدى اليدين على الاخةى خضوعا كالذي يفعل في الصلاة) والا نحناء عند غير العرب ورفع اليد

عند الجنود و كشف الرأس عند الافرنج وغير ذلك للعلم بأن المنهي عنه ليس مطلق ما يسمي عبادة وخضوعا.

ثم ان الذي علم ترتيب حكم الشرك والكفر عليه من العبادات او الاتقادات امور :

(الاوّل) اعتقاد المساواة لله تعالى في جميع الصفات او انّه هو اللهولو بطريق الحلول.

(الثّاني) انكار الشرائع وتكذب الرسل وان اعترف فاعله بتوحيدالله تعالى و لم يعبد وثنا بل بقي على شريعة منسوخة.

(الثالث) ماذكر مع عبادة الاوثان مما لم يأذن به الله تعالىبل نهى عنه من سجود ونحر ذبح لها وذكر اسمها عليه وطلبها بدمه وتعظيم باعتقاد استحقاق ذلك بالاستقلال لرفعة ذاتية واعتقاد ان له تدبيرا واختيارا كما كان يفعل عبدة الاصنام سوأ كان مع الاعترافبوجودالله وعدمه.

الخامس عشر

لاشك ان الله تعالى فاوت بين مخلوقاته في فضائل فجعلها

بعضها افضل من بعض من الازمنة والامكنة والاحجار والابار والحيوانات و بتي آدم وغير ذلك. ففب الازمنة فضب شهر رمضان على شهور السنة وجعل فيه ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر وجعل من اشهر السنة الاثنى عشر اربعة حرما حرم فيها القتال. وفضل يوم الجمعة على سائر الايام وفضل الساعة منة على سائره. وفي الامكانة فضل الكعبة على سائر بقاع الارض وتعبد الناس بالحج اليها والطواف حولها و مكة وحجر اسماعيل والمسجد والمساجد الثلاثة والمسجد الحرام منها على غيرها. وفي الاحجار فضل الحجرالاسواد على غيره من الاحجار. وفي الابار فضل بئر زمزم على غيرها وفي الحيوانات فضل الخيل على غيرها وامر بارتباطها واكراسها وجعل الخير معقودا بنواصيها وجعل بعض دم الغزال مسكا. وفي بني آدم قضل الانبياء على غيره ومحمّد صلى الله عليه وسلّم على سائر الانبياء والشهداء على غيرهم والعلماء على الشهداء بل شئ الواحد فضل في حال دون حال فابكنيف لافضل له وهو فى منتهي الخسة فلذا بني عليه مسجد صار معظما عندالله وحرم تنجيه ووجب تعظيمه وجلدالشاو يجعل نعلا وحذاء فيكون في

منهي الاهانة ويعمل جلدا للقرآن الكريم فيكون في منتهي اكرام والاعظام والرجل يكون كسائر الناس فيبعث الله بالنبوة فتجب اطاعة امره ونهيه اوينصعبه النبى صلى الله عليه وسلّم بعده الخالفة او المسلمون فيدخل في قوله تعالى اطيعواالرسول و اولى الامر منكم. ومن هذا القبيل البقعة من الارض تكون كسائر البقاع فيدفن فيها نبي او ولي فتكسب شرفا وفضلا وبركة بدفنه لم تكن لها من قبل ويجب احترامها ويحرم اهانتها لحرمة من فيها ومن احترامها قصدهالزيارة من فيها وبناء القباب عليها والحجر حولها لتقي زائرها من الحر والبرد. وعمل الاضرحة لها التي يصونها من كل اهانة وايقاد المصابيح لا نتفاع رائريها ةاللاجنئين اليها وجعل الخدمة والسدنة وتقبيلها والتبرك بها ووضع الخلع عليها والمعلقات فوقها وغير ذلك ومن اهانتها وهدمها وهدم ما فوقها من البناء وتسويتها بالارض وجعلها معرّضة لوقوع القذورات ووطئ الدواب والكلاب والآميين وترويث الدواب والكلاب وبولها وغير ذلك. وما ورد مما يوهم المنافاة لذلك مما سيأتي في محله على فروض صحته مخصوص بغيرها ومنصر بحكم التبادر الى غيرها

لما علم من الشرع من لزوم العظيم اصحابها احياء و امواتا وهذا من تعظيمهم وحرمة اهانتهم احياء و امواتا وهذا منها وهل يشك في ذلك عاقل وهو يرى ان الله جعل احترام الصخرة الصّماء بسبب وقوف ابراهيم الخليل عليه السلام عليها حين بنى البيت فقال واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى. افيجعل الله احتراما لمقام رجل خليله ولا يجعل احتراما لمدفن جسد سيد انبيائه. وان زعم ورود النهى فستعرف انه لا نهى.

السادس عشر

الاحكام لا تغير الموضوعات فاذا كان الموضوع على حالة او صغة قبل الحكم كان كذلك بعد الحكم وهذا من البديهيات الاولية التي لا شك فيها من عنده اقب الما م بالعلوم مثلا اذا حرم الشرع شتم زيد او اوجبه وكان الشتم في نفسه مع قطع النظرعن الحكم بتحريمه او وجوبه اهانة لزيد لا يصير بعد التحةيم او الوجوب احتراما له وكذالك لو اوجب اضافة زيد او حرّمها وكانت اضافته في نفسها اكراما له لا تصير بعد ايجابها اهانة له. واذا كان تعظيم المخلوق واحتراما و التبرك به والقبام بخدمته بغياية الذل والخضوع وما اشبه ذلك شركا بالله

تعالى فاذا اوجب الله تعالى تعظيم المخلوق واحترامه والتبرك به واطاعته والذّل والخضوع له ونحو ذلك لم يخرجه هذاالوجوب عن كونه عبادة وشركا بل يكون الله تعالى قد اوجب الشرك وعبادة المخلوق لما عرفت من ان الحكم لا يغير الموضوع اذا عرفت هذا فاعلم ان وجوب تعظيم المخلوق من جماد و انسان و احترامه والتبرك به واطاعته والقيام في خدمته بغاية الذّل والخضوع وما ينتظم في هذا المسلك ثابت في الشرع بلا شك ولا ريب. فقد امر الله الملائكة بالسجود لآدم والولد لتعظيم الولدين وخفض جناح الذّل لهما وامر بطاعة الرسول و اولي الامر منا بالائمار بأمره والانتهاء عن لهيه وعدم رفع اصواتنا فوق صوته و امر بتعظيم المساجد والكعبة ةالطواف بها وتعظيم المقام والحجر الاسود وبئر زمزم والتبرك بمائه و تعظيم الحرم الى غير ذلك مما ورد في الشرع فلابد حينئذ من التزام احد اكرين اما القول بأنه ليس كل تعظيم عبادة وشركا او القول بان الله امر بالشرك وعبادة غيره ولما كان الشرك ظلما عظيما منهياعنه موجبا للخلود في النار جهنم يغفرالله ما دونه من الذنوب ولا يغفره بنص القرآن الكريم لم يمكن ان يأمرالله به

فتعين القول بانه ليس كل تعظيم عبادة موجبة للشرك.

السابع عشر

=حياة الانبياء في البرزخ =

روي ابن مسعود والبزار يسند صحيح ورواه ايضا القاضي اسماعيل والحارث في مسنده قوله ﷺ حياتي خيرلكم تحدثون ويحدث لكم (اي تحدثون شئونا و يحدث لكم احكامها) فإِذا أنا مت كانت وفاتي خيرالكم تعرض علي اعمالكم فان رأيت خيرا حمدت الله وان رأيت شرّا استغفرت لكم (غوث العباد ص ٥٠) وروى ابن عساكر والطبراني والنسائي وابن حبان وابن حزيمة و مسلم قوله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسرى بي على موسى عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره (غوث العباد ص ٦) وروي مسلم من حديث الاسرى قوله صلى الله عليه وسلم وقد رأيت في جماعة من الانبياء الى ان قال واذا ابراهيم عليه السلام قائم يصلى اشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فأممتهم الحديث (غوث العباد ص ٩) وروي ابن ماجه وأحمد

و مسلم انه ﷺ قال كأني انظر الى موسى هابطا من الثنية وله جؤار الى الله تعالى بالتلبيه، كأني أنظر الة يونس بن متي على ناقة حمراءِ جعدة عليه جبة من صوف خطام ناقته حلبة مارا بهذا الوادي ملبيا (غوث العباد ص ٧) وروي البخاري و مسلم في صحيحهما حديث المعراج حيث صرّح صلى الله عليه وسلم انه رأى في السموات جماعة من الانبياء آدم وابراهيم ويةسف و موسى و هرون ويحي وعيسى عليهم الصلاة والسلام وكلامه كل واحد منهم ماكلمه.

من هذه الاحاديث نفهم ان عالم البرزخ تغلب فيه احكام الارواح على احكام الاشباح فليس بغريب حينئذ ان يرى صلى الله عليه وسلم موسى في تلك الليلة في قبره يصلي ويراه في السموات والارواح ليس ببعيد عليها ان ترقي السموات في قليل الزمان بلا سبب ترقي عليه كالملائكة تماما.

حياة المؤمنين في البرزح: وروى مسلم انه ﷺ كان يعلم الصحابة اذا خرجوا الى اهل المقابر ان يقولةاهم "السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ةانا ان شاءالله لاحقون اسأل اله لنا ولكم العافية (غوث العباد ص

.(١٢)

و في البخاري مختصرا والطبراني مطولا عن أنس قال لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت بن قيس لالا ترى يا عم ووجدته يتحنط فقال ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ يئس ما دعوتم اقرانكم اللهم اني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء وما صنع هؤلاء. ثم قتل حتى قتل وكان عليه درع نفيسه فمرّبه رجل مسلم فأخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اتاه ثابت في منامه فقال اوصيك بوصية اياك ان تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت اخذ درعى فلان و مترله في أقصى الناس وعند خبائه فرس تستن (اي تذهب و تجئ عدوا في نشاط ومرح ولا راكب عليها) وقد كفئ على الدرع برمة فوقها رجل فأت خالدا فمره فليأخذها وليقل لابي بكر ان! عليّ من الدين كذا وكذا و فلان عتيق فاستيقظ الرجل فأتة خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتي بها وحدّث ابابكر برؤياه فأجاز وصيته.

من هنا نفهم ان الميت يعمل ويقول ماعداالاعمال التكليفية التي تزداد بها الحسنات والسيئات فان العمل الذي هذا حاله ينقطع عن الميت بمجرد موته وهذاالانقطاع معقول فان

الحسنات والسيئات في دار العمل ودار العمل الدنيا والميت قد انتقل من الدنيا ولذا قال ﷺ اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعوله.

الثامن عشر

الاجتهاد والتقليد مسئلة مفروغ منها منذ القرن الاوّل الذي هو خير القةون. فقد اجتهاد الصحابة القدرون منهم على الاجتهاد وتابعهم وقلدهم غير القادرين سواء في حياة رسول الله ﷺ او بعد وفاته. والاصل فيه قوله ﷺ من اجتهاد فأصاب فله أجران ومن اجتهاد وأخطاء فله أجر (متفق عليه) لا بأس اذا في الاختلاف بل هو الرحمة كما ورد في الحديث. وقد قال عمر بن عبد العزيز ما سيرني ان اصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا لانه لو لم يختلفوالم يكن رخصة. وقال يحي ابن سعيد وهو مشاهير علماء الحديث بين التابعين اهل العلم اهل توسعة وما برح المفتون يختلفون فة يعيب هذا على هذا.

فان قيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، قلنا ان المنكر لا يجب انكاره الا اذا كان مجمعا على انكاره. ولما كان

الاجتهاد علما وفنا وخبرة تعذر على من لم يتوفر فيه الشروط وليس من الحكمة نقلا و عقلا فرضه على غير القادر بل يترتب على ذلك هلاك المجتمع اذا انصرف كل ذي حرفة الى تحصيل شروط الاجتهاد كل ذلك مناف لقوله تعالى {مايريدالله ليجعل عليكم من حرج} (المائدة) وقوله عزّ وجل {وما جعل عليكم في الدين من حرج} (الحج: ٧٨). وقوله سبحانه وتعالى {لا يكلف الله نفسا الا وسعها} (البقرة: ٢٨٦). و قوله قائل عليم {يريدالله بكم اليسر ولا يرد بكم العسر} (البقرة: ١٨٥). يجوز للمفتي ذكر الحكم مع ذكة الدليل وعدمه فقد كان الصحابة والتابعين يفتون السائلين بالحكم فتارة يذكرون مأخذه اذا اقتضت الحال ذلك وتارة يقتصرون على ذكر الحكم وذلك معلوم على القطع من حالهم (نور الاسلام، شوال ١٣٥٣ ص ٦٧١). وكذلك كانت رسله صلى الله عليه وسلّم الى البلدان كمعاذ بن جبل وابو موسى الاشعري يعلمون الناس الحكام من غير التزام ذكر الدليل (نور الاسلام، العدد المذكور) فلغير القادر على الاجتهاد الاتباع والتقليد بل عليه ذلك لان مالا يتم الواجب

الابه فهو واجب.

التاسع عشر

اهل السنة والجماعة، من هم ؟ اهل الحق وهم الجماعة الذين ورد ذكرهم في حديث الافتراق الذي ةواه الترمذي و ابن ماجه وهو حديث صحيح وهم الذين قال ﷺ عنهم ما انا عليه و اصحابي هم الذين قال الله في شأنهم {السابقون الاوّلون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها اللانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم} (التوبة: ١٠٠).

وقد علمناهم يتفقون في الاصول ولا يرون لأسا من الاختلاف في الامور الفرعية الجتهادية ورأيناهم يجتهدون اي القادرون منهم على الاجتهاد وغيرهم يتبع ويقلد ويأمرون بالمعروف وينكرون المنكر اذا كان مجمعا على انكاره ويختلفون فكان في اختلافهم رخصة ورحمة، وكانوا اهل العلم واهل توسعة ويفتون فيختلفون فلا يعيب هذا على هذا وكانوا (الصحابة والتابعين) يفوتون السائلين بالحكم فتارة يذكرون

مأخذه اذا اقتضت الحال ذلك وتارة يقتصرون على ذكر الحكم وذلك معلوم على القطع من حالهم. وكانوا يحكمون بالظواهر ويكلون امر السرائر الى الله. وكانوا يتشرّعون الى تكفير احد من المسلمين وكانوا يؤمنون بحياة البرزخ وحياة الآخرة. و كانوا يعملون بهدى الرسول ﷺ و الصحابة (في مثل مسائل التراويح والاذان في الجمعة مثلا). وكانوا من عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وكانوا لايجادلون ولا يمارون يتعلمون على العلم للعمل به لا للجدل والمراء ويعلمون بقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا (ال عمران ١٠٣) هم الاتقياء الصابرون الشاكرون المتوكلون على الله تعالى الزاهدون في الدنيا والراغبون في الآخرة الخائفون الراجعون التائبون العابدون الى غير ذلك من الصفات الحميدة. اولهم رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون ومن بينهم الائمة الاربعة والعلماء ورثة الانبياء جيلا بعد جيل حتى ينتهوا الى الامام المهدي الذي ورد في الحديث انه يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ويرفع المذاهب ويجمع الامة على ما عليه رسول الله ﷺ والصحابة

والتابعون، أهل السنة والجماعة.

العشرون

اهل البدع والاهواء هم الذين فارقوا الجماعة و خالفوا ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه و سلّم و اصحابه، ومن امارتهم خرق الاجماع لاسيما في فهم الايات والاحاديث، ةالاجماع عنوان الجماعة وقد حفظ الله تعالى هذاالدين بسياج لاجماع فيما يختلف فيه في فهم الايات والاحاديث. فان كل فرقة تدعى الاخذ من الكتاب والسنة الا انهم يشذون عن الاجماع ومن شذ شذ في النار.

الباب الاوّل

وفيه قصول

الفصل الاوّل

في بيان أن للانبياء، والاولياء، وجاهة عند ربنا

قال الله تعالى في سيدنا موسى الكليم عليه والسلام: وكان

عندالله وجها. وقال في نبي الله عيسى "وجيها في الدنيا والآخرة" الى ايات اخرى كثيرة تفهم منها ان لربنا عبيدا لهم عنده وجاهة. ومعنى هذه الوجاهة عنده تعالى المنزلة الرفيعة التي بها يتولى الله تعالى شؤنهم توليا خاصا ويعاملهم كما نعامل نحن لوجهاء عندنا فكما لانردّ نحن طلب الوجهء عندنا اجلالا لهم واحتراما لمنزلتهم الرفيعة عندنا كذلك فانه سبحانه وتعالى لا يرد طلب الوجية عندنه الا لحكمة هو يعلمها وان اختلف المقتضى للاجابة عندنا وعنده سبحانه وتعالى.

مكث نبى الله نوح عليه السلام في قوله الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الحق ليلا نهارا. ويلاقى منهم في سبيل تلك الدعوة ما يلاقى من انواع الايذاء و لم ينه ذلك عن القيام بما كلف به ولما يئس من هدايتهم قال ما حكى عنه ربّنا اني مغلوب فانتصر ثلاث كلمات حرّك بها لسانه فكان ما قال مولاه عز وجل ففتحنا ابواب السماء بماء منهر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر تجرى بأيننا فكان الطوفان العظيم فيهالها من وجاهة.

وكسّر نبى الله ابراهيم عليه السلام الاصنام فثارا الوثنين

وقالوا حرّقوه واصروا الهتكم قال تعالى للنار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فان ابراهيم حقا عبد وجيه عند ربّه.

وبئس نبى الله موسى عليه السلام من هداية فرعون فاوح تعالى اليه ان يخرج بمن آمن به من مصر ليلا واخبره ان سيتبعه فرعون وجنوده فخرج عليه السلام بمن اتبعه وصدقه ولما علم ذلك فرعون جمع من قومه ما جمع و خرج ورائهم فلما دنا منهم ورأوه بجموعه قلقوا وقالوا لسيدنا موسى عليه السلام انا لمدركون قطمأنهم عليه السلام قال كلا ان معي ربي سيهدين فكان ان هداه ربه الى نجاته ونجاة فومه امره بان يضرب بعصاه البحر ففعل كما امر فانفلق البحر الآية وهذه وجاهة لايقدروها الا العالمون. وهكذا يذكر القرآن الكريم من وجاهة الانبياء واحدا واحدا مما هو معلوم لدى الخاص والعام.

اماخاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ فليس في خلق الله تعالى يدانيه في جهته عند ربه وكيف يدانى من يقول له تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعلمين. سأله ﷺ اهل المكة عن ربهم اية انشقاق القمر مراتين اى فلقتين رواه البخارى ومسلم والترمذى وصرّح بهذه الآية القرآن فهي من المعجزاتها

التي لايقوى مسلم على ان يمترى فيها وقد بلغت الرواية هنا مبلغ التواتر الى غير ذلك من المعجزات الباهرات وهي كثيرة جدا واشهر من ان تذكر.

روى مسلم انه ﷺ قرأ قول ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبنى فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم و قول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امّتي اللهم امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل ذهب الى محمد وربك اعلم فأساله ما يبكيك فأتاه جبريل ذهب الى محمد وربك اعلم فقال تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقال له النا سنرضيك في امتك ولا نسؤك. وروى البخارى ومسلم ان ابن مسعود سأل من اخبرالنبى ﷺ بالجن ليلة استمعواالقرآن فقال الشجرة وروى مسلم انه ﷺ قال ان بمكة حجرا كان يسلم عليّ ليلة بعثت أني لأعرفه الآن.

لقد كان الصحابة فيما رواه البخارى اذا امرهم رسول الله ﷺ ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما بحدون النطر اليه تعظيماله.

ةوى البخارى و مسلم انه ﷺ كان على المنبر يوما فسأله أعرابي ان يدعوالله تعالى ان يسقيهم وكانوا في قحط فرفع يديه وما بالسماء قطعة سحاب فما ردّهما الاّ وقد ثار السحاب كأمثال الجبال ولم يترل ﷺ عن المنير حتى نزل عليه المطر وصار يتقاطر على لحيته الشريفه وما زال في انهمار حتى الجمعة التالية فسأل ﷺ ان يدعو ربه ان يرفع هذه المطر فرفع ﷺ يديه وقال اللهم حو الينا ولا علينا فانقطع المطر في الحال وخرجوا من المسجد يمشوا في الشمس.

شيئ من آثار وجاهة الاولياءالله عند الله عز: حسبك برهانا على ذلك قصّة أهل الكهف التي قصها علينا القرآن الكريم فانها تضمنت انّ الفتية ناموا ثلثمائة عام وتسعة اعوام دون ان يتناولوا فيها طعاما ولا شرابا وهي مدة لم تجرالعبادة لأن ينامها احد دون ان طعام ولا شراب الى غير ذلك من العجائب المذكورة في قصة.

ومما بدل دلالة قاطعة على جاه اولياء الله ما فعل الله تعالى مع مريم بنت عمران رضى الله عنه قال تعالى كلما دخل عليها زكاريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم اني لك هذا قالت

هو من عندالله ان الله يرزق من يشأ بغير حساب وهو وصول رزف من غير طريق معتاد كما ان نداء الملائكة لها غير مألوف ورؤيتها لجبريل ليست مألوفة وحملها عيس للامر غير مألوفة كل ذلك حكاه القرآن الكريم ومن هذا القبيل ما ورد في قصّة موسى والخضر في نقل عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف. واماما جاء في السنة فشيئ تصعب الاحاطةبه من كثرته ولابأس من ذكر قليل منه. فقد روى البخارى ان الحبيبا رضى الله عنه كان يأكل الفاكهة في غير اوانها وهو أسير وان قريشا ارادوا ان يأخذوا قطعة من جسم عاصم رضى الله عنه بعد ال قتل فلم يستطعوا وحال بينهم و بين ذلك ظلة من الزنابير وان رجلين خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلّم في ليلة مظلمة فأضاءت لهما عصا احدهما فلما افترقا اضاءت للآخر عصاه. وان عبدالله والد جابر مازالت تظله الملائكة بعد قتله يوم احد حتى رفعوه. وان سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه كان اذا دعا استجاب الله دعاءه بعين مايطلب واتفق مسلم في هذا مع البخارى كما اتفق على رواية ان عابدا ممن قبلنا يسمى جريجا اتهمته بغى انه ابو ولدها الذى ولدته من سفاح

فصلى ودعا ونخمس الغلام قائلاله يا غلام من ابوك فانطق الله هذا الوليد الجديد الولادة فأخبر بوالده الحقيقى وبرأ العابد.

قال ﷺ كم من اشعث اغبر ذى طمرين لايؤبه له لو اقسم على الله لا بره منهم البراء بن مالك. رواه الترمذى الضياء في المختارة. وقال ﷺ مثله في اويس القرني رواه مسلم. وروى الشيخان البخاري و مسلم والترمذى انه ﷺ قال يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولون هل فيكم من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون نعم فيفتح لهم ثمّ يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقولوم هل فيكم من صاحب من صاحب اصحاب رسوب الله ﷺ نعم فيفتح لهم ثم يكون بعث الرابع فيقال انظروا هل ترون فيكم احدا رأى اصحاب رسول الله ﷺ بلغوا من الوجاهة عند ربهم عزّ وجل الى درجة ان الله تعالى يكرم بالفتح والنصر على الاعداد جيشا فيه من رأى من رآهم وينبغى ان لاننسى انهم لم يبلغوا هذه الدرجة الا لسرّ هو انعم اصحاب رسول الله ﷺ.

الفصل الثاني

في الشفاعة

اعلم ان طلب الشفاعة من الانبياء والصالحين والملائكة الذين اخبرالله تعالي ان لهم الشفاعة مما منعه فريق وجعلوه كفرا وشركا مع قولهم بان الشفاعة حق ولكن لا تطلب في دارالدنيا الا من الله بان نقول: اللهم شفع نبينا صلى الله عليه وسلم فينا يوم القيامة او اللهم شفع فينا عبادك الصالحين او الملائكتك او نحو ذلك مما يطلب من الله لا منهم فلا يقال يا رسول الله او يا ولي الله أسئلك الشفاعة او غيرها مما يقدر عليه الا الله تعالى فاذا طلبت ذلك في ايام البرزخ كان من اقسام الشرك اذا لم يرد بذلك نص من كتاب الله او سنة ولا اثر من السلف الصالح بل ورد الكتاب والسنة واجماع السلف ان ذلك شرك اكبر قاتل عليه رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى: قل لله الشفاعة جميعا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون و

انذربه الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه من ولي ولا شفيع والعبرة في القرآن لعموم اللفظ لا بخصوص السبب هكذاقالوا.

ونقول: الشفاعة من الشفيع عبارة عن طلب المشفوع اليه امرا للمشفوع له. فشفاعة النبى ﷺ او غيره عبارة عن دعائه الله تعالى لأجل الغير وطلبه منه غفران الذنب وقضاء الحوائج. فالشفاعة نوع من الدعاء والرجاء. وحكى النيسابورى في تفسير قوله تعالى من يسفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها. عن مقاتل انه قال الشفاعة الى الله تعالى انما هي الدعوة لمسلم لما روى عن النبى ﷺ من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك. فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك (انتهى) وحيبئذ فطلب الشفاعة من الغير كطلب الدعاء منه وقد ثبت جواز طلب الدعاء من اي مؤمن كان و اعترف بذلك الطريق المتقدم ذكرهم في طلبه من الحيّ بل هو من ضروريات دين الاسلام و حينئذ فيجوز طلب الشفاعة الى الله تعالى من كل مؤمن فضلا عن الانبياء والصّالحين و فضلا

عن سيد المرسلين.

فان قيل ان الشفيع لابد ان يكون له قدر وجاه عند المشفوع اليه. قلنا ان الله تعالى جعل حرمة لكل مؤمن يرجي بها قبول شفاعته واستجابة دعائه فلم يبق فرق على انه قد ورد ثبوت الشفاعة لآحد المؤمنين وللملائكه وانها ليست من خصاص الانبياء و ثبتت شفاعة الملائكة بما اخبرالله تعالى عنهم الذين يحملون العرش ومن حوله الى قوله ويستغفر للذين امنوا ربنا وسعت كل شيئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدهم ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياهم وقهم السيئات الآية. قال الرزي في تفسيره: هذه تدل على حصر الشفاعة من الكلائكة للمذنبين كما وقعت الشفاعة من النبي ﷺ وغيره من الانبياء وامره الله تعالى بها فقال واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات (انتهى) وفيه تصريح بان الشفاعة لا تزيد عن الدعاء وطلب المغفرة كما قلنا.

فظهر ان الشفاعة والدعاء من واد واحد وكذلك طلبها من الغير وليس حتما على الله قبول الشفاعة والاجابو للدعاء وانما

ذلك من الطافه منّه ورأفته بعباده فجعل لهم وسائل كثيرة الى نيل رضاه وعفوه وخيره وبرّه وهذا منها ولا شفاعة الا باذنه ولاضاه كما قال تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى.

وظهر ان طلب الشفاعة من النبى ﷺ بل من احد المؤمن في دار الدنيا احياء و امواتا ليشفعوا في الدنيا والآخرة او يوم القيامة جائز لا محذورفيه لانها من قبيل الدعاء فيرجع طلبه الى التماسه وذلك جائز من الحياء بالاتفاق. اما طلبه الدعاء من الاموات فمنعه الفريق الذين سبق ذكرهم والحق جوازه كما يأتي في فصل الآخر.

والاخبر الواردة في ثبوت الشفاعة ولنبى ﷺ يوم القيامة وانه الشفيع المشفع ولغيره ومستفيضه او متواتره. رواها البخارى و مسلم وغيرهم مثل من سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة. اعطيت خمسا وعدمنها الشفاعة انا اول شافع م مشفع. اتاني آت من ربي فخيرني بين ان يدخل نصف الجنة وبين الشفاعة وخترت الشفاعة. يدخل بشفاعتي رجل امتي اكثر من بنى تميم. ان الله تعالى فرغ الشافعون من الشفاعة شفعت الملائكة و شفع النبيون و شفع المؤمنون و لم يبق الا

ارحم الراحمين. يجلس المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا فيأتون آدم فيعذر بخطيئته ثم ابراهيم عليه السلام فيعتذر بثلاث كذبات كذبهن. ثم موسى عليه السلام فيعذر بقتل النفس ثم عيسى عليه السلام فيقول لست هناك فيقول الله سبحانه بعد ان اسجد له اسفع تشفع (الخبر) ومن ادلة شفاعته لنا بعد موته ﷺ حديث- وفاتي خير لكم تعرض عليّ اعمالكم الى قوله – وما رأيت من شراستغفرت لكم. لما عرفت من ان الشفاعة لا تزيد عن الدعاء لنا والاستغفار الذي هو الشفاعة بعينها.

وشفاعة النبى صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لا ينكرها الفريق الآنف الذكر فلا حاجة الى اكثار الادلة عليها وانما منعوا من جواز طلبها منه ﷺ في الدنيا وان كانت ثابتة له وقد اعطاء الله الشفاعة وهو الشفيع المشفع وجعلوه شركا و كفرا و مرجع شبهتهم في ذلك الى طلب الشفاعة من النبى ﷺ عبادة له وكل عبادة لغير الله شركا هذا واحد والثانى فلوجوب توحيدالله في العبادة كما يجب توحيده في الخالقية والرازقية. اما الاول فلان شركا الكفرا الذين بعث اليهم رسول الله ﷺ كان

بطلبه الشفاعة من الاصنام بدليل قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الآية. ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا بنفعهم ويقولون هؤلآء شفعاؤنا الآية. ولأنهم لا ينكرون توحيد الخالقية والرازقية لكنهم يجهلون بعض المخلوقات وسائط بينهم و بين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله وشفاعته عنده ولا يفرق النبى ﷺ بين من كان يدعوالملائكة ليشفعوا له او رجلا صالحا كاللات او نبيا كعيسى او يدعوغيرهم فقائل الكل فهذا دليل على ان التشفع بالنبى او الصالح شركا كالتشفع بغيره ويدل ايضا على عدم جواز طلب الشفاعة كن غيرالله قوله تعالى لله الشفاعة جميعا. من ذاالذي يشفع عنده الا لاذنه. اذا كانت الشفاعة كلها لله لم يجز طلبها من غيره. وقوله تعالى فلا تدعوا مع الله احدا وطلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم دعاء له فيكون منهيا عنه مع كون الدعاء عبادة بنص الكتاب والسنة با منحها واذا كان طلب الشفاعة دعاء والدعاء عبادة كان شركا فالجمع بين ثبوت الشفاعة له ﷺ وعدم جواز طلبها ان بقول المستشفع به ﷺ اللهم شقعه في ولا تحرمني شفاعته او ارزقني

شفاعته او نحو ذلك وهذا معنى قولهم فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله و يفهم من كلامهم في كتبهم ان طلب الشفاعة من غيرالله في الدنيا مناف عنه لكونه لا يشفع عنده الا باذنه والا لمن ارتضى.

والجواب عن شبهاته هذه ان طلب الشفاعة ليس عبادة للمطلوب منه وشركا اهل الجاهلية الذى احلّ دماءهم و اموالهم لم يكن سببه اتخاذهم الشفعاء ليس في الايتين المستشهد بهما ال الموجب لشركهم هو تشفعهم ولا ان عبادتهم لهم هي تشفعهم بهم بل الايتان صرحتان في ان عبادتهم كانت غير التشفع فانه جهل في الاية الاولى العبادة علة التقريب الذى هو الشفاعة والعلة غير المعلول ببديهة العقول و عطف في الاية الثانية قول هؤلآء شفعاؤنا على قوله ويعبدون والعطف يقتضى تغاير المعطوف عليه كما قرر في علم العربية مع ان علادتهم لهم بغير التشفع من السجود والاهلال باسمائهم وغير ذلك مشاهدة معلومة ثم ان قوله تعالى والذين اتخذوا من دون الله اولياء الاية ويعبدون من دون الله الآية صريح في ان عبادتهم لها كانت مع الاعراض عن الله والمخالفة لأمره. وقوله مالا يضرهم ولا

ينفعهم اشارة الى انهم عبدوا حجارا هي الجمادات وطلبوا منها النصر والشفاعة و لم يجعل الله لها ذلك ولو كانت علر صور قوم صالحين فلا بقاس بها من جعله الله تعالى شافعا وقادرا على الشفاعة ولا من تشفع به بمن تشفع بها ويجب على قياس قولهم بمنع يا رسول الله اشفع لي بل يقول اللهم شفعه في اورزقني شفعته ان يمنعوا يا فلان ادع لي بل يقول اجب دعاءه في اورزفني دعاءه لي مع اعترافهم بجوازه و منعه ويشبه الا كل من القفا اي ايصال اللقمة الى الفم من وراء الرقبة اما جعله طلب الشفاعة منافيا لكونه لا يشفع عنده الا باذنه فستعرف فساده عند راد هذا الكلام وقد ظهر من ذلك فساد القول بأن طلب الشفاعة من الصالحين هو بعينه قول الكفار ما نعبدهم الا ليقربونا هؤلاء شفعاؤنا لما عرفت من صراحة الايتين في مغايرة العبادة لطلب الشفاعة وبطلا ما يفهم من قولهم انه يقولون مادعونا الاصنام وتوجها اليهم الا لطلب القرب والشفاعة وقولهم لكنهم يجعلون بعض المخلوقات وسائط بينه وبين الله يقولون نريد منهم القرب الى الله وشفاعتهم عنده الدال على ان سبب الشرك طلب الشفاعة لما عرفت من

صراحة القرآن ودلالة الوجدان على خلافة وبطلان قولهم ومنهم من بدعو الملائكة ليشفعواله او صالحا كالات او نبيا كعيسى وقولهم و منهم من بدعو الصالحين والاولياء لما عرفت في المقدمة من ان دعاء الملائكة لم يكن بطلب شفاعتهم بل عبادتهم بل عبادتهم بغير ذلك و قولهم انهم بنات الله و دعاء اللات لم يكن لالتشفع بذلك الحجر الذى لم بجعل الله له شفاعة ولوكان على صورة صالح من عومة و دعاؤ عيسى عليه السلام لم يكن مجرد التشفع به بل اعتقاد انه هو الله الخالق الرزاق باحد الوجوه التى سبق بيانها و اى جهل اعظم من جعل الاشراك بعيسى مجرد التشفع به و هل يمكن صدوره من عاقل فضلا عن عالم. وقولهم ان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم هو الذى احل دماءهم واموالهم وقد عرفت انه كذب و افتراء وان الذى احل ذلك تكذييهم للرسل و نكارهم للشرائع و عبادتهم للاوثان بغير مجرد التشفع وكذلك جعلهم طلب الشفاعة مثل شرك جاهلية العرب. وان الذين قاتلهم صلى الله عليه و سلم انما ارادوا الجاه والشفاعة ان ذكروه من القول بانه لابد من واسطة في جلب المنافع

ودفع المضار او ان المشايخ وسائط كالحجاب بين الملك ورعيتهوالله لا يهدى ولا يرزق الا بتوسطم غير موجود لاحد المسلمين فسواء جعل ابن تيمية له كفرا و شركا صوابا او خطأ لا يضة احدا وذكره له تطويل بلا طائل فلا نطيل يرده وان كانت دعواه الاجماع على تكفير بالاوّل غير ثابتة ولامستندلها ومن الذى عون هذه المسئلة الفرضية وتكلم على حكمها من المسلمين حتى يدعوى اجماعهم على ذلك.

على ان مجرد سؤل غفران الذنب و تفربج الكروب ونحو ذلك لا يعد غلطا و خطاء فضلا ان يكون شركا و كفرا لانه محمول على الصحة من باب المجاز والاسناد الى السبب كما فصلناه في المقدمات. واما استدلاهم على عدم جواز طلب الشفاعة من غيرالله بأية: لله الشفاعة جميعاو و الاية: فلا تدعو مع الله احدا فاستدلال فاسد. فاِن آية لله الشفاعة جميعا ليس معناها ان الله وحده هوالذى يشفع عند احد و ثبت ان الانبياء والصالحين والملائكة يشفعون عنده و ليس معناها انه لا يجوز طلب الشفاعة ممن جعله الله شافعا بل معناها والله العالم ان الله مالك امرها فلا يشفع الا لمن ارتضاه الله (ولا يشفعون الا لمن

ارتضى) و صدر الآية هكذا: ام اتخذوا من دون الله شفعاء قل او لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا الآية فهو في مقام الرد على الذى اتخذواالاصنام والاحجار شفعاء الى الله تعالى و قالوا هؤلاء شفعائنا عندالله مع انهم لا يملكون شيئا فكيف يملكون الشفاعة ولاعاقل لهم حتى يشفعوا فلا يستطيع احد الا يشرطين. ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذونا وهذان الشرطان مفقودان بالنسبة للمشركين والاصنام.

واما لآية فلا تدعو مع الله فستعرق في فصل الدعاء انها اجنبية عن المقام مع انه لوصح الاستدلال بها على عدم جواز طلب الدعاء منه لان كلامنهما دعاء لغيرالله يشمله قوله تعالى فلا تدعوا مع الله احدا. فأى فارق بين قول يا فلان اشفع لي و يا فلان ادع لي وطلب الدعاء من الغير لا بنكره الفريق المخالف ولا قدوتهم ابن تيمية اذا كان من الحي كما ستعرف مع شمول الآية له.

وجاء في احاديث كثيرة صلوا علي فان صلاتكم تبلغني وسيأتي حديث صلّوا علي ثمّ اسئلواالله الوسيلة فمن سئل الله

لي الوسيلة حلت له شفاعتي يوم القيامة. والصلاة منا الدعاء و منه تعالى الرحمة ورفع الدرجة فقد طلب صلى الله عليه وسلم منا ان ندعوله برفع الدرجة واعطاء الوسيلة وهو كطلبنا منه الشفاعة بان يدعوالله ان يغفر ذنوبنا ويدخلنا جنته فكيف صار طلبه منا توحيدا وطلبنامنه شركا ونحن احوج الى شفاعته ودعائه منه الى دعائنا فاي فارق بينهما لولا الجمود و قلةالانصاف.

اما انهم ان جعلوا من جملة عبادة المشركين الاصنام اعتقادهم انها تشفع عندالله ومن جملة عبادة الانبياء والصالحين اعتقاد ذلك والتشفع بهم ففاسد لان اعتقاد المشركين والاصنام انها تشفع وطليهم منهاالشفاعة خطأ وغلط اذا لم يجعل الله لها شفاعة سواء كانت على صورة صالح وغيره فان الشافع هو الصالح لا الحجر الذى على صورته كما عرفت بخلاف الاعتقاد بأن الانبياء والصالحين يشفعون فان صحيح مطابف للواقع ليس فيه خطأ ولا غلط فضلا عن كونه عبادة وشركا. وكذلك التشفع بهم على ان الاعتقاد في حجر او شجر انه يشفع وطلب الشفاعة عنه لم يعلم كونه عبادة له انما هو خطأ

وغلط والمشركون لم يعلم ان هذا سبب في شركهم لانه لم يصدر معه ما هو كاف في الشرك والكفر من انكار الرسل والشرائع والعبادة للاصنام بغير ما ذكر.

وتعليلهم كون اتخاذ الشفاعة شركا بأنه لا يشفع عنده احد الا باذنه فاسد فإن قوله تعالى الا بِذنه مثبت للشفاعة فكيف يكون اتخاذ الشفعاء الذين جعل الله لهم الشفاعة واذن لهم فيها شركا. وقولهم"فكيف يثبتون شفعاء لم يأذن الله لهم في شفاعة ولاهم اهل لها. رد عليهم فان اتخاذ الشفعاء الذى ذمهم الله عليه هو اتخذ حجر او شجر او صورة شفيعا مع ان الله لم يجعل له شفاعة ولا هي اهل لها. اما الانبياء الذين اثبت الله لهم الشفاعة التى هي نوع من الدعاء كما عرفت وجعلهم اهلا لها كما تواترت به الاخبار ودل عليه قوله تعالى (ولايشفعون الا لمن ارتضى من ذالذى يشفع عنده الا بأذنه. ما من شفيع الا من بعد اذنه. يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن رضى له قولا – ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له. لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عندالرحمن عهدا) قال البيضاوى عهدا من الايمان والعمل الصالح او اذنا فبهاو انتهى. (ولا يملك

الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون) في تفسير البيضاوى الا من شهد بالحق بالتوحيد والاستثاء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لا ندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام انتى. فهذه الايات مثبتة للشفاعة جزما مع اذن الله ورضاه ولسنا نطلب منهم ان يشفعوالنا قهرا وحتما على الله و مثبتة لشفاعة من اتخذ عند الرحمن عهدا ومن شهد بالحق فلازم على طلب الشفاعة منهم ولا شرك فيه.

وظهر من ذلك بطلان قول من قال ان الاعتقاد في حيّ او ميت انه يقرب الى الله او يشفع عنده في حاجة من حوائج الدنيا بمجرّد التشفع والتوسل اليه تعالى شرك كالاعتقاد فب الاوثان. وقوله" بمجرّد التشفع" لا يظهر له معنى ولا للتقييدبه فائدة فان اراد منه انه يشفع بغير اذن اللهويجبرالله على قلول الشفاعته قهذا لا يعتقده مسلم ولا يقول به احد فمل فائدة التقييد وكيف رتبوا عليه ايتحلال دمائ المسلمين ومواهم واعراضهم نعم لا يعبد ان بكون هبده الاصنام ويعتقد مثل ذلك فى اصنامهم واوثنهم وان اراد انه يشفع بمجرّد التشفع

ويشفعه الله لأن الله اذن له اذنا عاما في الشفاعة عندما يتشفع به احد ووعده قبول شفاعته لكل من يتشفع به فهذا ايضا لا يعتقد احد من المسلمين وان كان ممكنا وجائز ان دل عليه النقل وانما يقولون ان الله تعالى جعل النبى صلى الله عليه وسلم شافعا ومشفعا دلت عليه صحاح اخبارهم لكن بلا قيد ولا شرط فقد يشتفع به احد ويشفع له وقد يأذن له في الشفاعة وقد لا يأذن والامر كله لله تعالى نعم كلهم يطلبون منه الشفاعة التى هي نوع من الدعاء رجاء ان يشفع فيشفعه الله وليس ذلك حتميا قطعيا فجعل ذلم كالاعتقاد فى الاوثان التى ثبت بصريح العقل و نص الشرع وعدم قدرتها على الشفاعة والدعاء وعدم جوازطلبها منها خطأ واضح فما فائدة هذا التقييد؟ أبمثل هذا تستحل دماء المسلمين واموالهم واعراضهم ؟ سبحانك اللهم. هذا بهتان العظيم.

اما قولهم ان الشفاعة حق ولكن لا تطلب في دار الدنيا الا من الله فإذا كانت ققا فما المانع من طلبها فيجعل الله طلب الحق باطلا و شركا؟ وهل منع الناس من الشرك في الدنيا وابيح لهم الشرك في الآخرة؟ ثم ان الاجماع حاصل من الانبياء

والمرسلين ومن الصحابة والتابعين على خلاف ما يقول الخالفون فى هذالزمان الاخير فقد تشفع وتوسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن قبله من الانبياء وتشفع الاصحاب بالنبى صلى الله عليه وسلم وتشفع عمر بالعباس كما سيأتي ذلك في الفصل الرابع في التوسل ويأتي في هذا الفصل انه صلى الله عليه وسلم اقر الاعرابى على قوله انا نتشفع بك على الله و في الفصل الثالث انهم طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته ان يستسقى لهم فسقوا.

اما قولهم ان المتعين على كل مسلم صرف همته الى ربه فهذا تمويه وتضليل فان المتشفع بمن جعله الله شافعا لم يصرف همته الى الا ربه ولم يقبل الا اليه ولم يتكل الا عليه وبم يفعل شيئا ينافى القيام بحق العبوديه له بل ذلك من تمام القيام بحقها لأنه عن امرالله الذى جعله شافعا فنحن لم نطلب منه الا ما جعله الله له وما جعله الا ليطلب منه كما كان طلب الدعاء من الغير كذلك مع عدم الفرق بينهما فنسبة المسلمين الى انهم بطلبهم الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم اهملوا ذلك والتجأوا الى غيرالله مفبلين على شفاعته ومتوكلبن عليها افترأ

عليهم وكيف بتصور عاقل ان طلب الشفاعة الى الله فى غفران الذنب ونيل الخيرمنه تعالى فمن جعل الله له الشفاعة هو اعراض عن الله والتجاء الى غيره وتوكل على غيره وكيف لم يكن طلي الدعاء من الغبر كذلك وطلب الشفاعة لا يخرج عن طلب الدعاء والكل من الله والى الله و في الله.

هذا مع دلالة جملة من الاخبار على جواز طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم وغيره فى دار الدنيا والآخرة فعن صحيح مسلم عن عبدالله بن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم مامن رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته اربعون رجلا لايشركون بالله شيئا الا شفعهم الله فيه وعن صحيح مسلم عن عائشة عن النبة صلى الله عليه وسلم ما من ميت يموت يصلى عليه امة من الناس ليبلغون مائة كلهم يشفعون له الا شفعوا فيه. وهذان الخبران بدلان على جواز الشفاعة فى دنيا من احد المؤمنين وانها لا تختص بالآخرة ولا بالانبياء فهل اذا اوصى رجل جماعة من اخوانه اربعين او مائة ان يقوموا علة جنازته ويشفعوا فيه او يصلوا عليه ويشفعوا فيه يكون مشركا وآثما مخطئا لانه طلب منهم الشفاعة وخالف قوله تعالى فلا

تدعوا مع الله احدا كما يكون طلبها من النبى صلى الله عليه وسلم كذلك؟ سبحانك اللهم هذا بهتام عظيم.

وعن الترمذى عن أنس سألت النبى صلى الله عليه وسلم ان بشفع لي يوم القيامة فقال انا فاعل قلت فاين اطلبك؟ قال: اولا على الصراط قلت فان لم القك؟ قال عند المزان قلت فانلم القك؟ قال عند الحوض فاني لا أخطى هذه المواضع (كشف الارتياب ص ٢٢٥) فهذا أنس قد طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم اقره على معصيته و شركه والمخالف وحده موحد ام النبى صلى الله عليه وسلم لم يسمع بقوله تعالى "لله الشفاعة جميعا، ولا تدعوا مع الله احدا". ولذك لم ينه انسا عن طلب الشفاعة منه او سمعه النبى صلى الله عليه وسلم ولم يفهم معناه. وفهمه المخالف واتباعه لانهم اعلم بكتاب الله تعالى من رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه؟

وقد طلب سواد بن قارب وهو من الصحابة الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم بقوله كما سيأتى فى الفصل الرابع فى التوسل فكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة بمغن فتيلا عن سواد

بن قارب ولم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينهه ولم يقول له لم طلبت الشفاعة منى ودعوت غيرالله فاشركت مع ان الشفاعة كلها لله ولا يجوز ان يدعى احد مع الله فادع الله واطلب الشفاعة منه وقل ياالله شفعه في كما يقول المخالف.

وفى سيرة الحلبية (ص ٨٨ ج ٢) عن ابن اسحاق فى كتاب المبدأ ان تبعا الحميرى آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا فوصل الى النبى صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه وفيه وان لم ادركك فاشفع لي يوم القيامة ولا تنسى وان النبى صلى الله عليه وسلم قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات انتهى ولو كان هذا شركا وكفرا لوجب ان ينكره لاان يرحب بصاحبه ثلاث ويسميه الاخ الصالح ولو انكره لنقل عنه.

وقال ابن تيمية فى رسالة زبارة القبور (ص ١٥٥) ما لفظه: فى الحديث ان اعرابيا قال لنبى صلى الله عليه وسلم جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فان نستشفع بالله عليك بك وعلى الله فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف فى وجوه اصحابه وقال ويحك ان الله لا

يستشفع به على احد من خلقه شأن الله اعظم من ذلك قال فأقرّه على قوله انا نستشفع بك على الله وانكر عليه نستشفع بالله عليك لان الشافع يسئل المشفوع اليه والعبد يسأل ربه ويستشفع اليه والرب تعالى لا يسئل العبد ولا بستشفع به انتهى فاقرار النبى صلى الله عليه وسلم له على قوله انا نستشفع بك الى الله دليل على جواز طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم فى دار الدنيا وانه ليس فيه شائبة منع.

لا بقال الذى انكره المخالفون لنا فى هذا الزمان الاخيرة هو طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم فى دار الدنيا بعد موته وهذا الروايات كلها فى طلب الشفاعة من الاحياء فلا يتم الاستدلال لانا نقول الدليل الذى استدلوابه على عدم جواز طلب الشفاعة فى دار الدنيا وانها شرك ان تم لا يفرق بين طلبها من الحي وطلبها من الميت وهو قوله لله الشفاعة جميعا. فلا تدعوا مع الله احدا قد وردت اخبار فى طلب الشفاعة منه صلى الله عليه وسلم بعد موته وهي ما سيأتى من ان ابن حنيف علم رجلا ان يقول فى دعائه فى خلافة عثمان يا محمد انة اتوجه بك الى ربك ان تقضى حاجتى ويذكر حاجته وانه

فعل ذلك فقضبت حاجته. وما رواه المفيد في المجالس عن ابن عباس ان اميرالمؤمنين (عليّا كرّم الله وجهه) لما فرغ من غسل النبى ﷺ كشف الازار عن وجهه ثم قال بابى انت و امى طبت حيّا وطبت ميتا الى ان قال بابى انت وامى اذكرنا عند ربك واجعلنا من همّك ثم اكب عليه فقبل وجهه وفة خلاصة الكلام صح انه لما توفى ﷺ اقبل ابو بكر رضى الله عنه فكشف عن وجهه ثم اكب عليه فقبله وقال بابى انت وامّى طبت حيا وميتا اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن من بالك انتهى (كشف الارتياب ص ٢٢٧) وهذا استشفاع به صلى الله عليه وسلم فى دار الدنيا بعد موته و فى خلاصة الكلام عن شرح المواهب للزرقانى ان الداعى اذا قال اللهم انى ايتشفع اليك بنبيك يا نبى الرحمن اشفع لى عند ربك استجيب له انتهى. وسيأتى فى فصل التوسل من جملة الدعاء الذى ذكره العلماء فى باب اداب الزيارة خطاباله صلى الله عليه وسلم جئنك لقضاء حقك الى قوله والاستشفاع بك فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك فاستغفرلنا واشفع لنا الخ ويأتى هناك انكثيرا من علماء المذاهب الاربعة ذكروا فى كتب المناسك عند

ذكر الزيارة استجال التشفع به ﷺ.

الفصل الثالث

فى دعاء غيرالله تعالى والاستغاثة والاستعانةبه وطلب الحوائج منه

وهذا مما صرح به المخالفون لنا فى ذمان الاخير وقدوتهم ابن تيمية بانه موجب للشرك والكفر قالوا: ان قول ادركنى او اغثنى او اشفعنى و انصرنى على عدوى ونحن ذلك مما لا يقدر عليه الا الله تعالى اذا طلب فى ايام البرزخ كان من اقسام الشرك وادعوا ورود الكتاب والسنة و اجماع السلف ان ذلك شرك اكبر قاتل عليه رسول الله ﷺ وصرح بذلك ابن تيمية.

يقول المخالف واتباعه: من يأتى الى قبر نبى او صالح ويسأله حجاته ويستنجده مثل ان يسئله ان يزيل مرضه أو يقضى دينه او نحو ذلك مما لا يقدر عليه الا الله عزوجل فهذا شرك صريح يجب ان يستتاب والا قتل وذكروا ان ودّا وسواعا ويغوث ويعوق وسرّا سماء قوم صالحين من قوم نوح فلما ماتوا

عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الامد فاتخذوا تماثيلهم اصناما وكان العقوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو اصل الشرك وعبادة الاوثان ولهذا قال النبى ﷺ اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد الى ان قالوا وهذا ما يظهر الفرق بين سؤال النبى ﷺ والرجل الصالح فى حياته وسؤله بعد موته وفى مغيبه وذلك انه فى حياته لا يعبده احد في حضوره الى ان قالوا ولم يكن احد من سلف الامة فى عصر الصحابه ولا التابعين ولا تابعى التابعين يتخير الصلاة والدعاء عند قبورالانبياء ويسألهم ولا بتغيثون بهم لا فى مغيبهم ولا عند قبورهم وكذلك العكوف. وقالوا ومن اعظم الشرك ان يتغيره الرجل بميت وغائب عند المصائب يا سيدى فلان كأنه يطلب منه ازالة ضرّة او جلب نفعه وهذا حال النصارى فى المسيح وامّه واحبارهم ورهبانهم ومعلوم ان خير الخلق وكرمهم على الله نبيا محمد ﷺ واعلم الناس بقدره وحقه اصحابه ولم يكونوا يفعلون شيئا من ذلك لا فى مغيبه ولا بعد مماته.

وقال ابن تيمية ايضا فى رسالة زيارة القبور (ص ١٥٣-١٥٥ طبع المنار بمصر) ما حصله: مطلوب العبد ان كان مما لا

يقدر عليه الا الله فسائله من المخلوق مشرك من جنس عباد الملائكة والتماثيل ومن اتخذ المسيح وامّه الهين مثل ان يقول المخلوق حي او ميت اغفر ذنبى او انصرنى على عدوي او اشف مرضى او عافنى او عاف اهلى او دابّتى او يطلب منه وفاء دينه من غير جهة معبنة او غير ذلك وان كان مما لا يقدر عليه العبد فيجوز طلبه منه في حال دون حال فان مسألة المخلوق قد تكون جاؤزة وقد تكون منهيا عنها قال الله تعالى: فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب. واوصى النبى ﷺ ابن عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واوصى طائفة من اصحاب ان يسألوا الناس شيئا فكان سوط احدهم يسقط من كفه فلا يقول لاجدناولنى اياه وقال فهذه المنهي عنها. والجائزة طلب دعاء المؤمن لاخيه الخ.

وصرح المخالفون لنا فى هذا الزمان لان دعاء غيرالله والاستغاثة بغيرالله موجب للارتداد عن الدين والدخول فى عداد المشركين وعبده الاصنام واستحلال المال والدم بقبولهم. ان النبى ﷺ قائل المشركين لتكون جملة اشياء كلهالله وعدّمنها الدعاء والاستغاثة وغيرذلك من الكلمات السابقة.

وقالوا عند تعليم الاحتجاج على المسلمين المشركين يزعمهم فان قال الخصم انا لا عبد الا الله والاتجاء الى الصالحين ودعاؤهم ليس بعبادة فقل له انت تقر ان الله فرض عليك اخلاص العبادة فبين لنا هذاالذى فرض عليك فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها فببنهاله بقوله تعالى : ادعوا ربكم تضرعا وخفية. اذا عملت بهذا هل هو عبادة فلابد ان يقول نعم والدعاء مخ العبادة فقا اذا دعوت الله ليلا ونهارا وخوفا وطمعا ودعوت في تلك الحاجة نبيا او صالحا هل شركت فى عبادةالله فلابد ان يقول نعم. فقل له وهل كانت عبادتهم الا فى الدعاء والذبح والالتجاء ونحو ذلك والا فهم مقرون انهم عبيدالله تحت قهره وان الله هوالذى يدبرالامر ولكن دعوهم والتجؤا اليهم للجاه والشفاعة ثم قال اناالشرك بالله حاشا وكلا. والا لتجاء الى الصالحين ليس بشرك فقل اذا كنت تقر ان الله حرّم الشرك اعظم من الزنا و ان الله لا يغفره فما هو فانه لا يدرى فقل كيف تبرأ نفسك من الشرك ولا تعرفه. فان قال الشرك عبادة الاصنام ونحن لا نعبدها فقل مامعنى عبادتها اتطن انهم بعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق

وتدبرامر من دعاها فهذا يكذبه القرآن يعنى قوله تعالى: قل من يرزقكم من السماء والارض الآية او هو قصد خشبة او حجر او بنية او غيره يدعون ذلك ويذبحون له ويقولون انه يقربنا الى الله زلفى ويدفع عنا ببركته وهذا هو فعلكم عند الاحجار والبنايا التى على القبور وغيرها وايضا قولك الشرك عبادة الاصنام هل تريد ان الشرك مخصوص بهذا وان الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل فى هذا فهذا ما يرده ما فى القرآن من كفر من تعلق على الملائكة و عيسى والصالحين (رسالة كشف الشبهات طبع المنار بمصر ص ٦٢-٦٤).

وفى رسالة المذكور ايضا (ص ٧٠) ولهم شبهة أخرى وهي ما ذكر النبيﷺ أن الناس يوم القيامة يستغيثون بآدم، ثم بنوح، ثم بإبراهيم، ثم بموسى، ثم بعيسى، فكلهم يعتذر حتى ينتهوا إلى رسول اللهﷺ قالوا فهذا يدل على أن الاستغاثة بغير الله ليست شركاً .

والجواب أن تقول: سبحان من طبع على قلوب أعدائه، فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها، كما قال تعالى في قصة موسى﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي

مِنْ عَدُوِّهِ﴾ القصص:١٥] وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء أو في غيبتهم في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله .

إذا ثبت ذلك فاستغاثتهم بالأنبياء يوم القيامة يريدون منهم أن يدعوا الله أن يحاسب الناس حتى يستريح أهل الجنة من كرب الموقف، وهذا جائز في الدنيا والآخرة، وذلك أن تأتي عند رجل صالح حي يجالسك ويسمع كلامك وتقول له: ادع الله لي كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه ذلك في حياته، وأما بعد موته، فحاشا وكلا أنهم سألوا ذلك عند قبره، بل أنكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره، فكيف بدعائه نفسه ﷺ ؟ (رسالة كشف الشبهات ص ٧٠). ثم قال فى نفس الرسالة:

ولهم شبهة أخرى وهي قصة إبراهيم لما ألقي في النار اعترض له جبريل في الهواء فقال له: ألك حاجة؟ فقال إبراهيم أما إليك فلا، فلو كانت الاستغاثة شركا لم يعرضها على إبراهيم .

واجاب: بان جبريل عرض عليه أن ينفعه بأمر يقدر عليه، فإنه كما قال الله تعالى فيه﴿ :شَدِيدُ الْقُوَى﴾ النجم:٥) فلو أذن له أن يأخذ نار إبراهيم وما حولها من الأرض والجبال ويقلبها في المشرق أو المغرب لفعل، ولو أمره الله أن يضع إبراهيم ويلقيها في المشرق و المغرب او يضيع ابراهيم عنهم في مكانٍ بعيد او يرفعه إلى السماء لفعل، وهذا كرجل غني يعرض على رجل يحتاج ان يقرضه او يهبه فيأبى ويصبر حتى يأتيه الله برزق لا منة فيه لأحد، فأين هذا من استغاثة العبادة والشرك لو كانوا يفقهون؟ (رسالة كشف الشبهات ٧١).

اذا اتتبنا اقوال المخالفين لنا فى الزمان الاخير علمنا ان حاصل استدلالهم انه تعالى قال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداله دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيئ والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون. ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم والذبن تدعون من دون الله ما يملكون من قطمير والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيئ الآية قل ادع الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا

تحويلا اولّئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ولا تدع من دون الله ملا ينفعك ولا يضرك الاية. ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم الاية. ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيبواله الاية.قالوا وقد سمى الله الدعاء بقوله "ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى الآية. قالوا وقد قال رسول الله ﷺ الدعء مخ العبادة رواه الترمذى وفى رواية الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﷺ وقال ربكم ادعونى استجب لكم ان الذين بيتكبرون عن عبادتى الآية رواه احمد و ابو داود والترمذى انتهى (اهدية السّنية ص ٧٦) قالوا ومن هتف باسم نبى او صالح عند الشدائد كقول يا رسول الله، يا ابن عباس بدون ان يتبعه بشيئ او قال: اشف لي الى الله وحاجتى او استشفع بك الى الله فى حاجتى او نحو ذلك او قال: اقض دينى او اشف مريضى او نحو ذلك فقد دعا ذلك النبى و الصالح والدعاء عبادة بل مخها كما عرفت فيكون قد عبد غيرالله وصار مشركا اذلا يتم التوحيد الا بتوحيده تعالى فى الهيّة باعتقاد ان لا خالق ولا رازق غيره وفى العبادة بعدم عبادة

غيره ولو ببعض العبادات ةعباد الاصنام انما اشركوا بعدم توحيدالله فى العبادة كما مرّ مفصلا ذلك حاصل استدلالهم.

والجواب: ان الدعاء والاستغاثة بغيرالله تعالى يكون على وجوه ثلاثة الاول ان يهتف باسمه مجرّدا مثل ان يقول يا محمد، يا على، يا عبدالقادر، يا اولياء الله. يا اهل البيت ونحو ذلك. الثانى: ان يقول يا فلان كن شفيعى الى الله فى قضاء حاجتى اوادع الله ان بقضيها او ماشابه ذلك. الثالث : ان يقول اقض دينى او اشف مريضى او انصرنى على عدوى وغير ذلك. وليس فى شيئ من هذه الوجوه الثلاثة محذور فضلا عما يوجب الاشرك والتكفير لان المقصود منها طلب الشفاعة وسؤل الدعاء سواء صرّح بذلك كما في الوجه الثانى اولا كما فى الوحهين الباقين للعلم بحال المسلم الموحد المتعقد ان من عداالله تعالى الا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا فبسبب ذلك نعلم انه لم يقصد سوى طلب الشفاعة والدعاء ولو فرض اننا جهلنا قصده لوجب حمله على ذلك سواء صدر من عارف او عامّي لوجوب حمل افعال المسلمين واقوالهم على الصحّة مهما امكن حتى يعلم الفساد وعدم

جواز تكفير المقرّ بالشهادتين الا بما يوجب كفره على اليقين وعدم جواز التهجم على الدماء والاموال والاعراض بغير اليقين كما مرّ فى المقدمات فيكون ذلك هو المحذوف المطلوب من المدعو فى الوجه الاوّل ويكون الاسناد فى الوجه الثالث من باب الاسناد الى السبب لكونه بدعائه وشفاعته سببا فى ذلك كما فى بنى الامير المدينة وشفى الطبيب المريض فان ذلك صحيح فلا لغة العرب كثير فيها وفى القرآن الكريم وهو المسمى عند العلماء البيان بالمجاز العقلى وهو اسناد الفعل الى غير ما هوله من سبب او غيره والقرينة عليه ظاهر حال المسلم فان كون المتكلم به مسلما بعتقد ويقرّ بأن من عندالله تعالى لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعا وضرا الا باقدارالله تعالى يكفى قرينة على ذلك ولهذا ذكر علماء البيان ان مثل: انبت الرابيع البقل اذا صدر من الدهرى كان حقيقة واذل صدر المسلم كان مجازا عقليا كما تقدم تفصيله فى المقدمات واي فارق بين "انبت الربيع البقل وبين ما نحن فيه ؟ فليكن هذاالاسناد كاسناد الرزق وما يجرى مجراه الى غيرالله تعالى فى قوله تعالى" فارزقوهم منها ولو انهم رضوا ماتاهم الله

ورسوله وقالوا حسبناالله سيؤتيناالله من فضله ورسوله وما نقموا الا ان اغناء لايقدر عليه الاالله تعالى فكيف نسبه الى الرسول ﷺ وجعله شريكا لله فى ذلك وهل هو الاكالرزق الذى لا بقدر عليه الاالله تعالى وهم قد جعلوا قول: ارزقني شركا وكفرا. وقد نسب الله تعالى الى عيسى عليه السلام الخلق وابراء الاكمه و الابرص واحاء الموتى باذن الله بقوله حكاية عنه انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرى الاكمه والابرص باذن الله فكيف جاز نسبة ذلك اليه ولم يكن كفرا ولا شركا ولم يجز نسبة شفاء المريض وقضاء الدين والرزق ونحن ذلك الى النبى او الوالى باذن الله فان كان المانع انه لا بقدر عليه الا الله فالكل كذلك وان كان عدم القدرة بعد الموت فهي حاصلة بما دل على حياةالانبياء بل وغيرهم فى عالم البرزخ.

والى ما ذكرنا اشار عالم المدينة السمهودى الشافعى فى كتابه وفاء الوفاء باخبار المصطفى (ص ٤٢١ جزء ٢ طبع عام ١٣٢٦ بمصر) بقوله: وقد يكون التوسل به ﷺ قادر على التسبب فيه بسؤال وشفاعته الى ربه فيعود الى طلب

دعائه وان اختلفت العبارة ومنه قول القائل له اسألك مرافقتك فى الجنة الحديث ولا يقصدبه كونه صلى الله عليه وسلم سببا وشافعا انتهى.

وفى قول القائل "اسئلك مرافقتك فى الجنة" فى الحديث المشار اليه ردّ لما توهموه من كفر من قال اشف مريضى وانصرنى على اعدائى ونحو حتى ادعى ابن تيمية اجمع المسلمين على ذلك كما مرّ. فمرلفقته فى الجنة لا يقدر عليها غيرالله نظير غفران الذنب وشفاء المريض. بل لو قرض انه ليس ظاهر حال القائل ما ذكرنا وتساوى الاحتمالا او ضعف الاحتمال الصحيح لم يجز الحكم بالكفر و الشرك لوجوب الحمل على الصحة ولو مع الاحتمال الضعيف وعدم جواز التكفير الا مع اليقين نعم لو قصد فى الوجه الاول والثالث ان المستغاث به هو الفاعل لذلك اختبارا واستقلالا بدون واسطته تعالى واقداره فالمسلمون منه براء ولكنه لا يوجد بين المسلمين احد بقصد ذلك نعم ربما يوجد من لا يخطر بباله شيئ تفصيلا فيجب حمله ايضا على الوجه الصحيح من طلب الدعاء والشفاعة دون غيره لانه وان لم

يقصد ذلك و لم يلتفت اليه تفصيلا الا انه مقصود له اجمالا. ولهذا الوسائل هل تعتقد انه قادر على ذلك بلا واسطةالله تعالى لقال كلا لااعتقد ذلك وتبرأ ممن يعتقده ولو قيل له هل مرادك طلب الدعاء والشفاعة لقال نعم.

وحيث ظهران مرجع ذلك الى طلب الشفاعة وسؤل الدعاء فنقول امّا الشفاعة فمضى الكلام فيها في الفصل السابق وهما لاتخرج عن سؤل الدعاء واما سؤل الدعاء فلا مانع منه عقلا ولا شرعا من حي وميت. اما من الحيّ فقد اعترف مخالفونا فى هذا الزمان الاخير بجوازه و لم يجعلوه شركا ولا كفرا ولا بدعة.

والجواب عن احتجاجهم على عدم جواز دعاء غيرالله تعالى والاستعانة والاستغاثةبه بأية فلا تدعوا مع الله احدا وماذكر معها. ان الدعاء فى اللغة مطلق النداء قال الله تعالى: يآيهالذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول كدعاء بعضكم بعضا ويطلق الدعاء علر سؤل الله تعالى والرغبة اليه وطلب حوائج الدنيا والآخرة. وبعبارة اخرى باعتقاد الوهيته واستحقاقه العبادة والتعبد والخضوع له بذلك اطاعة لامره واطلاق

الدعاء على ذلك اما لانه احد افراد المعنى اللغوى اولصيرورته حقيقة عرفية فى ذلك او مجازا مشهورا وقد ورد فى الشرع الحث على دعاء الله تعالى وطلب حوائج الدنيا والآخرة منه باعتقاد وسمى عبادة قال الله تعالى: ادعونى استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين. وقال زين العابدين علي الن الحسين رضى الله عنه في دعائه بعد ذكر الآية فسميت دعاءك عبادة وتركه استكبارا وتوعدت عليه دخول جهنم داخرين حتى ان الدعاء مخ العبادة كما ذكره فى احتجاجهم ومضمونه عدة روايات وانما كان ذلك لما فيه من اظهر نهاية الخضوع والتذلل لله تعالى والافتقار اليه اليه وان الامر كلها بيده ولهذا امر بالدعاء وحث عليه مع انه اعلم بحوائجنا منا وارأف بنا من كل احد ولكنه اراد ان نظهرله غاية الخضوع والعبودية ونزل به حوائجنا جليلها وحقيرها حتى ورد انه اوحى الى موسى (ع) يا موسى اسألنى حتى علف دابتك وقوت يومك او ما هذا معناه.

ولا شك ان مطلق الدعاء والمنادة وطلب الحاجة من غيرالله لايكون عبادة ولا ممنوعا منه فمن دعا رجلا ليأتى اليه او ليعنه وينصره اوليناوله شيئا او يقضى له حاجة لم عابداله ولا آثما فقوله تعالى فلا تدعوا مع الله احدا لا يراد به مطلق الدعاء قطعا بل دعاؤ خاص وهو الدعاء المساوى لدعاء الله تعالى باعتقاد ان المدعو قادر مختار مساولله تعالى كما كان غير المسلمين يفعلون ذلك فى معابدهم او دعاء من نهى الله عن دعائه من الاصنام والاوثان التى هي احجار واشجار لاتعقل ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تسأل ولا تشفع كما كان يفعله المشركون فى الكعب او دعاء الملائكة والجن الذين كانوا يعبدون و يعتقدون ان لهم تأثيرا فى الكون مع الله بانفسهم او يشفون عنده اضطرارا بحيث لا يرد شفاعتهم او نحو ذلك مما لم بجعله الله لهم وكذلك قوله ﷺ الدعاء مخ العبادة او هو العبادة لا يرادبه مطلق الدعاء بل الدعاء خاص كما اريد بالآية الكريمة بل لا يعبد ان يراد بالدعاء فيه خصوص دعاءالله تعالى

اى ان دعاءالله تعالى مخ العبادة الله تعالى وذلك لاستحاله على نهاية الذل والخضوع. والعبادة اقصى نهاية الخضوع والذل لانها مأخوذة من قولهم 'طريق معبد' اي مذلل فتكون الالف ولام فيه نائبة عة الاضافة فهي عهدية لاجنسية وآيات. والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون. ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم. دالة على انهم كانوا يعتقدون انهم قادرون على نصرهم بانفسهم لا يدعائهم وشفاعتهم والا لم تكن الايتان ردا عليهم ولكان لهم ان يقولوا انهم وان لم يقدروا على نصرنا بانفسهم فهم قادرون عليه بالتسبب يدعاءالله لنا الذى وعدا حاجة الدعاء ونحن لم نطلب منهم غير ذلك وانهم وام كان عبادا امثالنا فهم قادرون على ان يشفعوا لمن عندالله الذى جعل لهم الشفاعة باذنه فييسأذنون هذان كانوا من الانبياء او صلحاء.

اذا عرفت ذلك ظهرلك ام من دعا نبيا و ايسغاث به فذلك ل يدخل فى الدعاء المنهى عنه فى الآية والاستغاثة لا يخرج من

طلبه منه ان يدعوالله له او يشفع له عنده الذى هو فى معنى الدعاء فمن طلب ذلك مع اعتقاد ان الامر فيه لله ان شاء اجاب دعاءه وقبل شفاعته ان شاء رد لا يدخل فى النهى قطعا بعد عرفت ان المنهى عنه ليس مطلق الدعاء بل دعاء مخصوص مع طلب الدعاء وابشفاتع ممن جعل الله له ذلك لا يخرج من دعاءالله تعالى وعبادته وتعظيم أنه وتواسل اليه بانواع الوسائل وفى ذلك مبالغة فى التضرع اليه والطبب منه الذ علم انه يحبه ويرضاه وانه مخ العبادة له والمعية فى الآية ظاهرة فى المساواة ومن يدعوالنبي ﷺ ليدعوالله له ويشفع اليه فى حاجته لم يدعه مع اله و لم يساوه بل فى الحقيقة دعاالله الذى امر بطلب الدعاء من الغير وجعل له الشفاعة وليس المراد بالمعية مجرد المشاركة فى الوجود والالحرام دعاء غبرالله فى المساجد او مطبقا مع الله بأن يقول يا الله اغفرلي ويا فلان اسقنى ماء وحينئذ فقول يا محمد ادع لي الله او اشفع لي عندالله الذى هو فى معنى اوعه لا يزيد عن قوله يا فلان اسقني ماء وبعبارة اخرى معنى "مع الله"

ان يكون دعاؤه فى عرض دعاء الله لا فى طوله والاصنام لو فرض ان دعاءها ليس كذلك فالله نهى عن دعائها بكل حال لانها جهاد ولان دعاءها خلاف على الله وتكذيب للرسل ودعاء يا قى المعبود ات كعيسى والملائكة والجن هومثل دعاءالله قطعا. فعيسى عليه السلام اتخذ شركا فى الربوبية والملائكة والجن اعتقا ان لهم قدرة وتأثيرا مع الله كما مرّ.

اما قوله تعالى له الدعوةالحق الآية فمعناه والله اعلم ان المدعو بحق هو الله تعالى وما يدعون من دونه من حجر او نبى بعتقدون الهيته كعيسى فيدعونه ليرزقهم ويدخلهم الجنة ويفعل معهم فعل الرب مع عبيده او ملك او جنى يعتقدون ان له تأثيرا مع الله او شفاعته اضطرارية او غير مردودة او نحو ذلك لايستجبون لهم امالاحجار ةالاشجار فلا نها جماد لا تقدر على شيئ سواء كانت على صورة صالح او لا لان الشفاعة للصالحين لالصورهم. واما من يدعى فيه الالهية او لتأثير مع الله من ملك او جنى فلانه ليس الها او تأثيرله ولا يعبد ان يكون

المراد الاصنام خاصة وان تكون واردة فى مشركى قريش ولذلك شبه حالهم بباسط كفيه الى الماء يطلب منه ان يبلغ فاه والماء

جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا يعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه. وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعاءهم ولا يستطيع اجابهم

ولا بقدر على نفعهم وابن ذلك من طلب الدعاء من الصالحين الذبن امرالله بطلب الدعاء منهم ودلت الايات والاخبار على حياتهم بعد الموت وقدرتهم على ذلك وسؤل الشفاعة منهم التى جعلهاالله لهم وأخبر انهم قادرون عليها وبذلك ظهر جليا ان قياس دعاءه الصالحين على دعاء الاصنام والاوثان وعيسى و مريم وغير ذلك قباس باطل ونوهم فاسد.

اذا عرفت هذا فلنعد الى الجواب الى كلماتهم السابقة كل منها على حدة اما قول ابن تيمية بشرك من يسئل النبى او الصالح

ازالة مرضه او قضاء دينه او نحو ذلك ولزوم قتله ان لم يتب ففاسد لما عرفت من عدم جواز التهجم على تكفير المسلمين واستحلال دمه بغير اليقين ووجوب حمل قوله وفعله علة الصحيح مهما امكن ولا يقين هنا لوجود المحمل الصحيح وهو ارادة الاسناد الى السبب بالدعاء ةالشفاعة وان مثل ذلك وارد فلاى كلام العرب والقرآن الكريم واما روايته ان ودا وسواعا الخ اسماء قوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم الى ان اتخذوا تماثينهم اصناما فهو حجة عليه لاله فان موجب تكفيرهم اتخذ تماثيلهم اصناما لا التبرك بقبورهم قوله وكان العكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو اصل الشرك وعبادو الاوثان ستعرف فى فصل الزيارة ان استحباب زيارة قبرالنبى ﷺ وقبور سائر الانبياء والصلحاء ودعائه تعالى عندها من ضروريات دين الاسلام و اذا ثبت استحباب ذلك ثلت استحباب الاكثار منه فانه لا سرف فى الخير كما لا خير فى السرف ضواء سماه ابن تيمية عكوفا

وغيره لا يضر الا نفسه اما جعله ذلك اصل الشرك وعبادةالاوثان فان ارادبه سبب تام فىذلك ففساده ظاهر لما نشاهده من تعظيم المسلمين قبور الانبياء والصالحين وتبركهم بها اجيالا عديدة ومع ذلك لم يتخذوا صورهم وتماثلهم اصناما.

وان كان يقول ان هذا التعظيم والتبرك عبادة القبر كما بقول المخالفون فى آخر الزمان فقد رجع عن قوله انه اصل الشرك وعبادة الاوثان وان ارلد انه قد يؤدى الى عبادةالاوثان والشرك كما ادى فة قوم نوح الذين اتخذوا صور الصالحين اوثانا بعد ما عظيموا قبورهم وتبركواها فهذا لا يوجب تحريمه كما انه اذا ادى ظهور المعجزة او الكرامة على يد نبى او صالح الى اتخاذه الهالا يكون اظهارهما محرما بعد وجود الادلة من العقل والنقل على عدم الهيئة وهي ادلة قاطعة المعذر وان اراد بكونه اصل الشرك انه نفسه شرك وعبادة الاوثان كما بقول مخالفونا فى آخر الزمان فقد علم فساده بما اقمناه من البراهين على انه

ليس كذلك وبوجود الفرق الواضح بينه وبين عبادة الاوثان اما قوله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد فتخرص على الغيب فمن الذي اخبره ان علة قوله صلى الله عليه وسلم ذلك الخوف من ان يصل تعظيم قبره والتبرك به وتقبيله الى اتخاذه وثنا يعبد بل هو دعاء بان يعصم امته من اتخاذ قبره وثنا يعبد بما كانت تعبده الجاهلية اوثانها لا بمجرد تعظيم المسلمين له وتبركهم به الذى قد بينا مرارا انه ليس عبادة له اما تفرقته بين سؤل النبى والصالح فى حباته وسؤله بعد موته او فى مغيبه انه فى حياتهلا يعبده احد فى حضوره فمما يضحك الثكلى اولا ان السائية كما يزعمون قد عبدت امير المؤمنين عليا رضى الله عنه فى حضوره حتى حرقهم بالنار فراد ذلك اعتقادهم باهيبة لما سمعوه منه وقالوا لايعذب بالنار الارب النار ثانيا احتمال ان يترتب على فعل المباح او الراجح امر محرم لايوجب تحريمه و الاحرم جميع ما فى الكون من فعل. اكا قوله ولم يكن احد من سلف الامة فى عصر الصحابة

ولاالتابعين وتابعى التابعين يتخبر وان الصلاة والدعاء عند قبور الانبياء فانا نسأله هل كان مالك بن أنس امام دار الهجرة وحجة الله على خلقه بشهادة الامام الشافعى (كما فى خلاصة تذهيب الكمال ص ٣١٣ طبع مصر) من سلف هذه الامة ومن التابعين او تابعى التابعين حين قال لابى جعفر المنصور وقد سأله قائلا يا ابا عبدالله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لما تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة البك ادم عليه السلام الى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به الحديث وهل انكر احد ذلك على مالك من علماء المدينة وهي ملأى بالتابعين وتابعى التابعين او من علماء سائر الاقطار وهل تحتاج فضيلة المكان المدفون فيه جسد النبى ﷺ وهو سيد الكئنات واشرف ولد آدم الى رواية خاصة ونص مخصوص واذا ثبتت فضيلته ثبتت فضيلة الصلاة فيه وسيأتى فى فضل التوسل ان جميع اصحاب المناسك من علماء الاسلام ذكروا استحباب المجيئ الى قبر رسول الله ﷺ والدعاء

اللهم انك قلت فى كتابك ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاءوك الخ وتقدم مجيئ رجل الى قبره ﷺ وسؤل ان يستسقى لامته فسقوا.

قوله: ولا يستغيثون بهم لا فى مغيبهم ولا عند قبورهم هذه الدعوى يكذبها مضافا الى ما تسالم عليه المسلمون خلفا عن سلف من استغاثاته بالانبياء و الصالحين وطلب الشفاعة منهم كما يظهر مما ذكرناه فى تضاعيف هذا الكتاب ما ذكره عالم المدينة السمهودى الشافعى فى كتابه وفاء الوفاء حيث قال فى كلامه الآتى فى الفصل الثالث ان الاستغاثة بالنبى ﷺ من فعل الانبياء والمرسلين وسير السلف الصالحين وما ذكره فى خاتمة الباب الثامن (ص٤٢٥ ج ٢) من استغاثة جماعة من السلف به ﷺ بعد وفاته حيث قال خاتمة فى نفذ مما وقع لمن استغاث بالنبى ﷺ او طلب منه شيئا عند قبره فاعطى مطلوبه ونال مرغوبه مما ذكره الامام محمد بن موسى بن نعمان فى كتابه مصباح الظلام فى المثغيثين بخير الانام فمن ذلك ماقال: اتفق

الجماعة من علماء سلف هذه الامة من ائمى المحدثين والصوفية
والعلماء بالله المحققين قال محمد المنكدر اودع رجل ابى ثمانين
دينارا وخرج للجهاد وقال له ان احتجت انفقها واصاب
الناس جهد من الغلاء فانفقها فقدم الرجل وطلبها فقال له عد
الى غدا وبات فى المسجد يلوذ بقبرى النبى صلى الله عليه وسلم
مرة و بمنبره مرة حتى كاد يصبح، ستغيث بقبرى النبى ﷺ الى
آخر القصة. وقال الامام ابو بكر المقرى كنت انا و الطبرانى
وابو الشيخ في حرم رسول الله ﷺ واثر فبنا الجوع ولما كان
وقت العساء حضرت قبر النبى ﷺ قلت يا رسول الله الجوع
الى ان قال فدق الباب علوى معه غلامان مع كل واحد زنبيل
فيه شيئ كثير وقال اشكوتم الر رسول الله ﷺ فانى رأيته فى
المنام فامرنى ان احمل بشيئ اليكم ثم ذكر السمهودى بعد نحو
من نصف ورقة ان هذه الوقعة رواها ابن الجوزى فى كتابه
الوفاء باسناده الى ابى بكر المقرى قال وقال ابن الجلاد دخلت
المدينة وبي فاقة فتقدمت الى القبر وقلت ضيفك فغفوت فرأيت

النبى ﷺ فاعطانى رغيفا فاكلت نصفه الى آخر القصة وقال ابو الخير الا قطع وذكر نحوه وقال ابو عبدالله محمد بن ابى زرعة الصوفى سافرت مع ابى عبدالله بن خفيف الى مكة فاصابتنا فاقة شديدة فدخلنا المدينة فأتى ابى الخطيرة وقال يا رسول الله انا ضيفك الليلة الى ان قال فقال رأيت رسول الله ﷺ فوضع فى يدى دراهم- الى آخر القصة. وقال أحمد بن محمد الصوفى همت فى البادية ثلاثة اشهر فانسلخ جلدى فدخلت المدينة وجئت الى النبى ﷺ فسلمت ثم نمت فرأيت قرأيته ﷺ فى النوم فقال لي جئت قلت نعم ومنا جائع وانا فى ضيافتك قال افتح كفّيك فملأهما دراهم فانتبهت الخ. ثم نقل السمهودى ما يريد على عشر وقائع من هذا القبيل ومنها وافعتان نقلهما عن نفسه يطول الكلام بذكرها فليطلبها من ارادها ويستفاد من ذلك ايضا انّ الاستغاثة بالنبى ﷺ عليها سيرة المسلمين خلفا عن سلف بدون تناكر بينهم فيكشف عن ان ذلك مأخوذ من صاحب الشرع كما عرفت فى المقدمات مع انه لا يحتاج

جوازالاستغاثة الى ورود الدليل بل المانع عليه افامة الدليل. قوله " ومن اعظم الشرك" الخ قد عرفت انه لا شرك فيه بوجوب حمله على الوجه الصحيح فضلا عن كونه من اعظم الشرك.

قوله وهذا حال النصارى فى المسيح وامه واحبارهم و رهباهم بل هذا حال مخالفينا فى آخر الزمان فى اتباعهم ورؤسائهم على غير بصيرة ولا هدى فاشبهواالذين اتخذوا احبارهم ورهباهم اربابا من دون الله الذين ورد فبهم الهم ماصاموالهم ولا صلوا وانما حرّموا عليهم حلالا واحلوا لهم حراما فاتبعوهم. ومما تقدم تعلم قساد قوله ان خير الخلق الى قوله ولا بعد مماته.

قوله "وقول كثير من الضلال هذا اقرب الى الله منى وانا بعيد لا يمكنني ان ادعوه الا بهذه الواسطة من اقوال المشركين" الخ.

اما قول "هذا اقرب الى الله منى " فصحيح ليس فيه شيئ من الضلال فان درجات الناس متفاوته فى القرب منه تعالى بالطاعة الذى هو بمعنى القرب المعنوى تشبيها بقرب المكان.

واما قوله ،،لايمكننى ان ادعوه الا بهذه الواسطة،، فلا يقوله ولا يعتقده احد من المسلمين فضلا عن ان ينسب الى كثير من الضلاّل و لم نسمع الى الآن من احد ولا عنه انه يقول ذلك بل يدعون الله مرة بلا واسطة ورة بواسطة نعم قد يقولون (ان هذا الى الله منى) فدعاؤه ارجى للاجابة من دعائي وهذا لاباس به ولا مانع منه فقد ثبت ان دعاء الغير ارجى للاجابة ولو لم يكن اقرب وروى ان لله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ادعنى على لسان لم تعصمنى به كما كانت الصلاة على النبى ﷺ التى امرنا الله تعالى بها فى الدعاء من اسباب اجابته والله تعالى قادر على اجابة الدعاء بدون الصلاة على النبى ﷺ فكيف امرها لتكون سببا فى اجابة الدعاء و لم بكن ذلك منافيا

لقربه تعالى من الدّاعى وكان التشفع اليه بدون المكانة الذين جعل الله لهم الشفاعة منافيا لذلك ؟!

وخلاصة القول ان الله امر عباده بدعائه ووعدهم الاجابة قصدا لتذلل وتعبدهم له من دون حاجة منه الى دعائهم مع قدرته على ان يعطيهم بدون الدعاء مع رأفته بهم لكنه اراد ان يتعبدواله بانواع التعبد والتذلل ويتوسلوا اليه وجعل لهم من لطفه بهم ورحمته اسبابا لنيل فضله ونعمه مثل الصلاة على النبى ﷺ فى دعائهم والتشفع اليه بذوى المكانة عنده ومن ذلك اعطاؤه الشفاعة لذوى الشفاعة مع عدم حاجة منه تعالى الى شيئ من ذلك ولو فرض ان احدا قال لا يمكننى ان ادعوه الا بهذه الواسطة لكام مخطئا وغالطا و لم يكن مشركا وكافرا كما زعمه ابن تيمية ومخالفونا فى آخر الزمان.

امّا استدلاله بآية: واذا سألك عبادي عنى فأنى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان. علر امكان دعاء الله بلا واسطة فمن فضول الكلام فانه لا ينكر احد امكان ذلك وانه تعالى قريب

ممن دعاه ولكن ذلك لا ينافى كون بعضهم اقرب من بعض ولا كون دعاء الغير ارجى للاجابة.

اما استشهاده بآية "اياك نعبد" والآية "انمانعبدهم ليقربونا" فلا محلّ له. فلا احد يعبد غيرالله ولا يستعين بغيره، وانما هو سؤل الدعاء والشفاعة الذى لا يخرج عن عيادته تعالى والاستعانة به لانه عن امره.

قوله ان كنت تظنّ انه علم بحالك واقدر على عطاء سؤلك او ارحم بك فهذا جهل و ضلالة وكفر ليس فى المسلمين من يعتقد هذا فذكره قضول وتطويل بدون طائل.

قوله وان كنت تعلم ان الله اعلم و اقدر و ارحم فلم عدلت عن سؤال غيره،، لم يعدل احد عن سؤاله تعالى الى سؤال غيره، وانما هو طلب الدعاء والشفاعة الذى لا يخرج عن سؤاله تعالى لانه عن امره كما مرّ.

ونقول له: النبى صلى الله عليه وسلم يعلم ان الله تعالى اعلم بحاله واقدر على اعطاء سؤاله وارحم به من عمر فلم عدل عن سؤاله الى سؤال عمر وقال له حين ودعه الى العمرة لا تنسنا من دعئك يا أخى حسبما رويت واذا كان صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك فلما ذا طلب منا ان نصلى عليه ونسأل الله تعالى له الوسيلة ولماذا لم يطلبها هو من الله ولماذا امر عمر ان يسأل ايسا القرنى ان يستغفرله ولماذا قال الو بكر لعمر استغفرلى ولماذا لم يطلبه ابو بكر المغفرة منه تعالى بغير واسطة عمر والله تعالى لعلم بحاله واقدر على عطاء سؤاله وارحم به من عمر ولماذا سأل الناس النبى ﷺ ان يستسقى لهم لما اجدبوا ولم يستيقوا بانفسهم والله تعالى اعلم بحاله واقدر على عطاء سؤالهم وارحم بهم من النبى ﷺ وقد روى ذلك كله ابن تيمية نفسه فيما مرّ قريبا واعترف به وهو هنا يقول فلم عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره وان كان يزعم ان المسلمين يسألون غيره تعالى لانه القادر المختار الفاعل لما يشاء فهذا افترأ على

المسلمين لما عرفت من ان ذلك لا يخرج عن طلب الدعاء وسؤال الشفاعة.

اما قوله "وان كنت تعلم انه اقرب الى الله منك فانما معناه انه يثيبه اكثر مما يثيبك لا انك اذا دعوته يقضى الله حاجته اعظم مما بقضيها اذا دعوت انت الله" فاننا نقول فى الجواب عنه: نعم ان دعاء الغير للعبد ارجى فى الاجابة من دعائه نفسه كما مرّ.

قوله "فانك اذا كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء فالنبى والصالح لا يعين على ما يكرهه الله والا فالله اولى بالرحمة والقبول مما يضحك فانك قد عرفت ان المطلوب من النبى او الصالح الدعاء والشفاعة التى لا تخرج عن الدعاء وهو قد سلّم ان طلب الدعاء من الغير مشروع. فيقال له اذا كنت مستحقا للعقاب ورد الدعاء فالذى تسأل الغير ان يدعولك. او لم يعلم ابن تيمية ام مستحق العقاب قد يرحمه الله تعالى بالدعاء من الغير الذى هو ارجى فى الاجابة ومستحق ردعاء غبره فيه

ويقال له ايضا اذا كان العبد مستحقاى للعقاب ورد الدعاء فلماذا امرالله تعالى بالدعاء على وجه العموم. والله تعالى بما يكرهه ولا يعين عليه و لم لم يرحم بدون دعاء وشفاعة و لم امر فلى الدعاء بالصلاة على النبى ﷺ وجعلها سببا لقوله تعالى و لم يجعل الشفاعة واذن فيها وكون الله اولى بالرحمة والقبول لا ينافى التوسل اليه يدعاء الغير بل هذا من اتمّ اسباب لرحمته و رأفته.

قوله ،،ان قلت: هذا اذا دعاالله اجاب دعاءه اعظم مما يجيبه اذا دعوته قد عرفت ان هذا هو الحاصل من المسلمين الذى اسربه الشرع ودلّ عليه النقل غيره.

زمما ذكر تعلم فساد تفصيله فى رسالة زيارة القبور بين طلب مالا يقدر عليه الاّ الله وما يقدر عليه غيره. فاذا كان المطلوب هو الدعاء والشفاعة لم يكن المطلوب غير مقدور وكل ما طلب فيه غير المقدر يجب حمله على طلب الدعاء

والشفاعة حملا لفعل المسلم على الصحة فالتفصيل المذكور ساقط من اصله.

واما قوله" ان مسألة المخلوق قد تكون جائزة وقد تكون منهيا عنها فان اراد بالنهى نهة الكراهة والتتريه لا نهى المنع والتحريم فله وجه بمعنى انه لا ينبغى مسألة الناس والايستعانة بهم مع امكان الايتغناء عنهم. وسمع بعض ائمة اهل البيت عليهم السلام من يقول اللهم لاتُحوجنى الى خلقك تنهاه وقال مامعناه لابد من احتياج الخلق بعضهم ابعض ولكن قل اللهم لا تحوجنى الى بئام خلقك. وان اراد غير ذلك فهو مردود عليه لكن هذا خارج عن الموضوع الذى هو الاستغاثة بالمخلوق ليكون شافعا الى الله ووسيلة اليه ولا شك ان ذلك راجح لا كراهة فيه اذا كان المستغاث به اهلا لذلك فان ذلك لا يخرج عن عبادةالله ودعائه والاستغاثة به بل هو المستغاث حقيقة والله تعالى يحب دعاءه والتوسل اليه بكرام خلقه لان ذلك من انواع العبادة له والتذلل له ةالاّ فالله تعالى قادر على ان يعطينا بدون

دعائه وتوسلنا و تضرّعنا ويعفوعنّا بغير شفاعة شفيع فلما ذا امرنا بالدعاء و قبل شفاعة الشفعاء واذن لهم فيها.

واما ذكره متبوع مخالفينا فى تعليمه الاحتجاج من قوله ،، انت تقرّ ان الله فرض عليك اخلاص العبادة الى قوله فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها. فجوابه ان علماء المسلمين اعرف بربهم وبعبادته وانواعها منه ونسبته لهم الى الجهل بالعبادة وانواعها تخرص على الغيب...

ويمكن ان نقلب هذاالانستدلال عليه و على اتباعه فنقول لاحدهم: انت تقرّ ان الله فرض عليك اخلاص العبادة وحرّم عليك الشرك فبين لنا هذا الذي فرض عليك وحرّم عليك فانه لا يعرف العبادة ولا انواعها. فان قال اخلاص العبادة هو ان يدعو غيرالله ولا يستغيث الا بالله ولا ينحر ولا يذبح الا لله والشرك دعاء غيرالله والتشفع والاستغاثةبه فقل له هل مطلق دعاء غيرالله و ندائه عبادة ؟ فان قال نعم فقل له: اذا لايسلم احد من الشرك وام قال بل هة دعاء مخصوص فقل بينه لى فان

قال هو دعاء غيرالله فيما لا بقدر عليه الا الله. فقل فلماذا كفر تم المسلمين فى طلب الشفاعة من النبى ﷺ وهو قادة عليها وهو الشفيع المشفع. فانه لا يهتدى الى جوابه. وقل له هل كل تعظيم عبادة موجبة للشرك فان قال: نعم: فقل اذا تعظيم الابوين و تعظيم النبى ﷺ فى حياته شرك وكفر.

وان قال هو تعظيم مخصوص، فقل بينه لى فانه لا يعرفه فقل له انه تعظيم غيرالله بما نهى الله عنه وكان مساويا لتعظيم الله وهذا لا يفعله مسلم. وقل له ذبح ونذر لغير الله او هو ذبح ونذر مخصوص ؟ فلابد ان يقول انه نذر وذبح مخصوص فقا له فما هو فان قال هو نذركم وذبحكم للاولياء او لغيرالله فلابد ان بقول انه لله فقل له وكذلك النذر والذبح الذى تزعمون انه للولى هو نذر وذبح الذى تزعمون انه للولى هو نذر وذبح لله ليتصدق به على الفقراء و يهدى ثوابه للنبى او للولى.

قوله ،،اتظن انهم يعتقدون ان تلك الاخشاب والاحجار تخلق وترزق،، الخ فيه انهم وان لم يعتقدوا انها تخلق وترزقه الا

انهم عبدوها وعظموها بما نهاهم الله عنه واعتقدوا ان لها شرفا ذاتيا واختيارا وتدبيرا كما اوصحناه فلا نطيل باعبادته وليس هذا هو فعل المسلمين عند الاحجار والابنية التى على القبور وغيرها كما زعم وتوهم فاين الاستغاثة بذوى المكانة عندالله ودعاؤهم من عبادة الاصنام واين فعل المسلمين من فعل عبادالاصنام فالمسلمون يتعظيمهم من امرالله تعالى بتعظيمه وتبركهم بمن اثبت الله له البركة واستغاثتهم وتشفعهم بمن جعله مغيثا وشافعا وطلبهم دعاءه واستغفاره لهم لم يعبدوا غيرالله تعالى و لم يعظموا غيرالله و لم يستغيثوا الا بالله و لم يدعوا غيرالله لان كل ماكان عن امرالله تعالى فهو طاعة له تعالى ولو تعلق بالمخلوقين وشتمل على تعظيم كما كان سجود الملائكة لآدم ويعقوب واولاده ليوسف وتعظيم الكعبة والطواف بها والحجرالاسود وتقبيله واستلام الاركان وتعظيم حجر اسماعيل ومقام ابراهيم والصلاة عنده وتعظيم الحرم والمساجد وهي جمادات كلها عبادةالله تعالى وتعظيماله عز وجل.

قوله "هل تريد ان الشرك مخصوص بهذا اي عبادة الاصنام وان الاعتماد على الصالحين ودعاءهم لا يدخل فى هذا فهذا يرده ما فى القرآن من كفر من تعلق على الملائكة و عيسى والصالحين" وقد عرفت ان من تعلق على الملائكة لم بكن لمجرد التشفع بهم وطلب دعائهم وان كفر من تعلق على عيسى لانه جعلها الها مستحقا لجميع صفات الالوهية لا مجرد الاستغاثة به بطلاب دعائه وشفاعته فراجع.

واما تعلق على الصالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر التى ورد انها اسماء قوم الصالحين فقد اقام لهم تماثيل من احجار بعبدها ويسجدلها ويذبح الذبائح ويهل بهالها ويذكر لسمائها عليها ويطليها بدمائها ويتقرب بها الى تلك الاحجار ويستغيث بها ويعتقد ان لها تأثيرا وقدرة الى غير ذلك ولم يكن منه مجرد الاستغاثة والتشفع الى الله باصحابها الذبنهم قوم صالحون ولهم مكانة عندالله بل تشفع واستغاث باحجار على صورهم الموهومة لم يجعل الله لها حرمة ولا شفاعة ولم يقتصر على ذلك

بل زاد عليه انقاعا من العبادة كما مرّ واين هذا من الاستغاثة والتوسل بالنبى او الولي.

قوله"فان الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لاننكرها" الخ هذا كلام فيه تناقض وتهافت، فانه كما عرفت فى الفصل الثالث يمنع من طلب الشفاعة من النبى ﷺ ويجعله شركا ويوجب طلبها من الله تعالى بقوله اللهم شفعه فى اوارزقنى شفعاته مع تسلميه بانه ﷺ قادر عليها وان له الشفاعة وانه الشفيع المشفع وهنا نقول لا ننكر الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه فهذا تناقض واضح وتهافت بين وقد عرفت مرارا انالاستغاثة الحاصلة بالمخلوق الا فيما يقدر عليه وهو الدعاء والشفاعة وان عبر بقوله ارزقنى واشف مريضى وغير ذلك كما مر آنفا.

لا يقال انما منع من طلب الشفاعة من النبى صلى الله عليه وسلم تمسكا بقوله تعالى: "ان الشفاعة لله جميعا" وقوله "فلا تدعوا مع الله احدا" فيكون عدم جواز طلبها وان كا قادرا

عليها النص الشرعى تعبدى وهو الآيتان الشريفتان لانا نقول معنى الآبه كما عرفت فى فصل الثانى ليس عدم جواز طلب الشفاعة منه ﷺ بل انه تعالى مالك امرها فلا بشفع عنده احد الا باذنه والا لمن ارتضى ولا يلجئه احد الى قبول شفاعته كما يقع من المخلوقين والمنهى عنه فى الآية الثانية دعاء مخصوص لا مطلق الدعاء كما عرفته فى هذا الفصل.

واوّل كلامه بالنسبة الى الاستغاثة وغيرها مطلق شامل للمقدور وغيره مع انه فى مقام البيان ولكن لما اعترض عليه بالاستغاثة بالانبياء يوم القيامة و لم بجد لهذا الاعترض جوابا قيد حينئذ الاستغاثة الممنوعة بغبر المقدور الا فما باله لم يقيدها فى اوّل الامر ويسلم من الاعتراض مع كونه فى مقام البيان.

ومنه يظهر بطلان جواب احد المخالفين لنا الراجح الى التفصيل بين الاستغاثة بالحي فيما يقدر عليه وغبرها لما عرفت من ان الاستغاثة الحاصلة لا تخرج عن المقدور.

قوله "وامّا بعد مماته فحاش وكلا انهم سألةا ذلك" فيه انه يناقض قوله الاول "ونحن انكراستغاثة العباد عند قبور الانبياء والاولياء او فى غيبتهم فى الاشياء التى لا يقدر عليها الا الله" فانه يدل على ان الموجب للانكار كونها لا يقدر عليه الا الله وحنئذ فلا فرق بين طلبها من الحي او الميت فلو طلب من الحي مالا يقدر عليه الا الله لكان شركا عنده.

وقوله " واما بعد ممات فحاش و كلا الخ " يدل على عدم جواز طلب شيئ من الميت مطلقا ولوكان مما يقدر عليه غيرالله كالدعاء والشفاعة وهو تناقض ظهر فتارة جعل المناط عدم قدرة غيرالله وتارو الحياة والموت والغيب والحضور. وكيفما كان فقد عرفت ان التفصيل بين ما يقدر عليه غيرالله ومالا يقدر عليه الا الله لا يرجع على محصل بعد ماكان المراد سؤل الدعاء وطلب الشفاعة المقدورين. فكما ان استغاثة الناس بالانبياء يوم القيامة يريدون منهم ان تدعواالله ان يحاسب الناس حتى يستريح اهل الجنة من كرب الموقف فاستغاثة المسلمين بهم

فى الدنيا يريدون منهم ان يدعواالله ويشفعوا عنده حتى يقضى حوائجهم وهذا امر مقدورلهم بعد مماتهم ومن ذلك يعلم فساد تفرقهم بين استغاثة ابراهيم بجبرئل عليهما السلام لو فعلها واستغاثتنا بالنبى ﷺ بان الاولى استغاثة فى امر مقدور بخلاف الثانية لان الثانية هي ايضا فى امر مقدور وهي طلب الدعاء والشفاعة وليس فيها عبادة وشرك. كما ان التفصيل بين الاستغاثة بالاحياء والاستغاثة بالاموات ولو في المقدور لغيرالله تحكم محض لم يأتوا عليه بدليل و لم يزد متبوعهم فى دليله على قوله "فحاش وكلا انهم سألوا ذلك بل انكر السلف على من قصد دعاء الله عند قبره فضلا عن دعائه نفسه انها دعوى مجردة عن الدليل لم يأت عليها بشاهد ولا اثر مروي بل عرفت انها دعوى كاذبة وان الامر بالعكس فان السلف انكروا على من لم سدع الله عند قبره ولك يستقبله فى دعائه ويتوسل به كما وقع لمالك امام دار الهجرة مع المنصور العباسى وان سيرة السلف والخلف دعاء الله تعالى عند قبره الشريف والتبرك به

فمن هم السلف الذين انكروا على من دعاء الله تعالى عند قبر النبى ﷺ و هل مالك امام مذهب وامام دار الهجرة الذي قيل فيه لا يفتى و مالك فى المدينة والذى قال فيه الامام الشافعى حجةالله على خلقه لا يعد من السلف فظهر بذلك ان ما قاله المخالف لنا فى هذاالزمان الاخير محض افتراء على السلف وانه لا فرق بين طلب الدعاء منه ﷺ فى حياته وبعد وفاته.

ومما يدل على جواز الاستغاثة بغيرالله من النقل مارواه ابن السنى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اذا انفلتت دابة احدكم بأرض فلاة فليناد يا عبدالله احبسوا فان الله عبادا يجيبونه وفي حديث أخر رواه الطبرانى انه ﷺ قال اذا اضل احدكم شيئا او اراد عونا وهو بارض ليس فيها انيس فليقل يا عبادالله اعينونى وفى رواية اغيثونى فان الله عبادا لا تروهم وقال ان الفقهاء ذكروا ذلك فى آداب السفر انتهى (عن كشف الارتياب للسيد محسن الامين، الطبعة الثانية، صفحة ٢٥٠) واجاب المخالفون لنا بذكر القدح فى

السند برواية الطبرانى له فى الكبير بسند منقطع عن عقبة وان النووى عزاه لاكبن السني وفى اسنادهم مضمونه فى آداب السفر وايراد ائمة الحديث له فى كتبهم كالطبرانى والنواوى مغينى عن تصحيح سنده لو يسلم ما قاله المخالفون.

وكيف خفي على الفقهاء والمحدثين ان مضمونه شرك او حرام. فانه اذا كان كذلك كان الحديث موضوعا لا ضعيفا فحسب كما زعموا واجاب احدهم بأن المتبادر ان النداء لمن عساه يوجد من الناس فى الفلاة و لم يره.

ونحن نقول ان هذا التأويل مصادم لصريح الحديث فان قوله ﷺ فان الله عبادا لاتروهم صريح او كا لصريح فى انهم ليسوا ممن يرى لدلالة الضارع على الاستمرار دلالة التأكيد بان على تحقق وجودهم وكذا قوله ﷺ فان الله عبادا يجيبونه دال على ان وجودهم واجابتهم محقق او غالب لا محتمل احتمالا بعيدا او مقطوعا بعدمه كما هو حال الفلاة والارض

التى ليس فيها انيس ولو اراد ذلك لقال فليناد لعله يوجد احد او نحو ذلك.

وفى خلاصة الكلام: صح عن بلال بن الحاريث رضى الله عنه انه ذبح شاة عام القحط المسمي عام الرمادة فوجدها هزيلة فصار يقول وامحمداه وامحمداه انتهاء. وظاهر الحال انه استغاثةبه ﷺ لاندبة. قال وصحّ ايضا اتّ اصحاب النبى ﷺ لما قاتلوا مسيلمة الكذاب كان شعارهم وامحمداه وامحمداه انتهاء. وهو اظهرمن السابق في الاستغاثة لانه وقع فى حياته ﷺ. قال في الشفاء القاضى عياض انّ عبدالله بن عمر خذلت رجله مرّة فقيل له اذكراحبّ الناس اليك فقال وامحمداه فانطلقت رجله انتهاء. وهو من نوع الاستغاثة. امّا مايروي من انّ ابا بكر قال قوموا نستغث برسول الله من هذا المنافق فقال ﷺ انه لا يستغاث بى انما يستغاث بالله فهو تقدير صحة سنده محمول على ان المستغاث به الحقيقي هو الله تعالى لانه القادر المختار الفاعل لما يشاء فقال ذلك تواضعا لله تعالى فهو نظر

(ومارميت اذ رميت ولكنّ الله رمى) و قوله ﷺ (ماانا حملتكم ولكنّ الله حملكم) فلا يعارض كا دل على جواز الاستغاثة ووقوعها كما مرّ مع انه خارج عن محل التزاع فانّ الذى يعارض فيه مخالفونا كما صرّحويه الاستغاثة بغيرالله فيما لا يقدر عليه الا الله واستغاثتهم برسول الله ﷺ من ذلك المنافق كانت فى امر مقدور قطعا وهو دفع مفسدة نفاقه بغيره او قتله او غير ذلك.

(مطلب في كرامان الاولياء، وتصرف ارواحهم بعد وفاهم)

قال في المطالب القدسبة زعم بعض الناس الن الاولياء لا ينصرفون في عالم الملك والشهادة بعد وفاهم كسائر الموتى ولا يظهر على ايدهم خوارق العادات ولا غيرها لاهم انقطعوا عن هذا العالم وانتقلوا الى عالم آخرفي غاية المباينة لعالم الاحياء ولاهم مشغولون بشؤون آخرى غير هذه الشؤون فاهم كما ذكره العلامة الالوسي في تفسيره سورة النازعات ما بين سعيد

شغله نعيمه وتقلبه في الجنان عن الالتفات الى ما فى هذا العالم و بين شقيّ لهاه عذابه و حبسه في النيران عن اجابة مناديه والاصاخه الى اهل ناديه و بنى على ذلك انكار الاستغاثة باهل القبور ولا يخفى عليك بعد ما حدثناك من احكام الروح و شؤونها الكونية وحوادثها ومشاهداتها الاكتشافية وما يؤيد ذلك من الايات القرآنية والاخبار النبوية فساد هذا الزعم وما استفد اليه من مباينة العوالم واشتغال النفوس بعد الموت بشؤون آخرى لا يمنع تصرف الاواح في هذا العالم ولا نفوذها فيه متى اذان الله لها فى ذلكز والاحاديث النبوية ونصوص العلماء مستفيضه بثبوت الاذن لمن شاءالله من ارواح الموتى على ان شأن الروح عند تجردها ومفارقة ابدانها غير شأنها عند افتراقها فقد تظهر فى عالم متمثلة فيه وذاتها فى عالم آخر كملائكة والجن وفى كل الموطنين تكون قائما بوظيفتها لان مظهر الروحانى روحانى حي كما تقدم فى تمثل جبريل بين يديه ﷺ وذاته لم نفارق سدرة المنتهى وفى كل الموطنين قائم

بوطيفته الموكل بها والالوسى نفسه ممّن اثبت ذلك في رؤيته ﷺ خارج القبر وانتقاله من جهة الى جهة آخرى ورؤيته المتعددين فى امكنة مختلفة في وقت واحد وسيأتي ذلك في خاتمة هذه الرسالة وقد ثبت ان ارواح الكمل من الاولياء حال الحياة وهي مشغولة بشؤونها البدنية قد تسبح عالم الملكوت وتشاهد فيه ما تشاهد بحيث لا تشغلها الشؤون الظاهرة عن نلك الشؤون الفانية (لعله: الباطنة او الغيبية) فلاه يتبت عكس ذلك للارواح في تجرّدها من التصرف في عالم الشهادة وهي عالم آخر من باب اولى. وهذه المسألة كان للمخالفين فيها قديما بعض العذر لما عساه يعترضهم اذ ذلك من شبه تحول بينهم وبين الحق الجلي في ذلك اما لعدم استقامة افهامهم او لبنائها على اصول واهيه او لعدم اطلاعهم على ما يقشع عنهم غيوم هذه الشبهة او نحو ذلك مما بلوابه فى كثير من نظرياتهم الا عتقاديه. اما وقد انكشف الغطاء الآن وقامت الادلة المحسوسة والمشاهدات الملحوسة على تصرف ارواح الموتى وافعالهم

الغريبة لا فرق بين نفوس طاهرة مقدّسة وبين غيرها من النفوس الأخر فلا يسع احدا لا من المسلمين ولا من غيرهم ان ينكر او يتردد في تصرف ارواح الانبياء والاولياء بل وارواح غيرهم فى عالم الملك بعد وفاتهم وما ينقل عن الكتب الاسلامية و غيرها مما يخالف ذلك اصبح بنور العلم كسراب بغيعة فلا يعول عليه وقد كفانا الباحثون فى احوال الارواح منالعلماء الاسلام وغيرهم حديثا وقديما مؤنة التدليل على هذاالبحث فما على الناظر فيه الآن ان يتصفح بعض الكتب المؤلفة في هذهالابحاث الذئعة و ينعم النظر فيها فيظهرله جليّا انّ تصرف الارواح بعد الموت امر لا شبهة فيه وان ظهور الخوارق على يد الاولياء بعد وفاتهم اولى واقرب من ظهورها حال حياتهم المسمى كرامة عند العلماء الاسلام، والحق انها لاتختص بحال الحياة كما سيأتى انتهى. ثم قال: (ادلة ثبوت الكرامات للاولياء) وقد نصّ علماء الكلام وغيرهم عللا الكرامة هي الامر الخارق للعادة الذى يظهره الله تعالى بلا

سبب على يد مسلم كامل العرفان غير مدّع للنبوّة قالوا وهي جائزة بل واقعة. واستدلوا على جوازها بأدلة كثيرة منها انّ وجود الممكنات مستند الى قدرته الشاملة لجمعيها فلا يمتنع شئ منها على قدرته ولا شك انّ الكرامة امر ممكن اذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال لذاته وايضا لو امتنع اظهارالكرامة فذلك امّا لأنّ قدرةالله تعالىلا تصلح للتعاق بالخارق وذلك قدح شمول قدرته وامّا لأن المؤمن ليس اهلا له وهو بعيد لانّ معرفةالله والتوفيق لطاعته الشرف العطايا واجزلها واذا لم وبخل الفياض بالأشرف فلأن يبخل بالأدون من باب اولى وايضا اذا احبّ العبد ربه وتقرب اليه بالطاعة لا شك انه تعالى يحبه كما قال تعالى: "يحبهم و يحبونه" فاذا بلغ العبد فى طاعته ربه مع عجره الى حيث يفعل كلما امره الله تعالى فانه لا بغد فى ان يفعل الرب مع غاية قد ردته وسعة جوده ولو مرّة واحدة ما يلايده العبد او يكلرمه ولو لم يرده من الخوارق واذا وقع اعطاء الرب عبده المسيئ استدراجا فلأن يعطى عبده الصالح الذى لا

يستأنس بكرامته ولا يأمن مكره بل كلما اطاعه وتقرب اليه فاعطاه ازداد خشية منه ورهبة من باب اولى ومن هنا قال الحكماء انّ النفس اذا كملت بحسب قوّتيها العلمية والعملية تصرفت في اجسام العالم السفلي كما تتصرف في جسدها. واستدلوا على وقوعها بامور منها قصة مريم حيث حبلتبلا ذكر ووُجد الرزق عندها بلا سبب وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة وجَعْلُ هذه الامور معجزات لزكريا وارهاصا لعيسى مما لا يقدم عليه مصنف وانّما هي كرامات لمن ظهر على يديه وان كانت معجزات مصدّقة لنبيه، و قصة عاصف ابن برخيا وهي احضاره عرش بلقيس من مسافة بعيدة في طرفة عين كما قال تعالى حكاية عنه "انا آتيتك به قبل ان يرتد طرفك" الآية و لم يكن ذلك معجزة لسليمان عليه السلام اذ لم يظهر على يده مقارنا لدعواه النبوة، و قصة اصحاب الكهف وهي أن الله سبحانه وتعالى ابقاهم ثلاثمائة سنة فازيد نياما احياء يلا آفة و لم يكونوااانبياء اجماعا، ومنها كتابة عمر رضى

الله عنه لنيل مصر ان يجرى فيجرى باذن الله تعالى بعد ان كان في زمن الجاهلية يقين فى كل سنة مرة واحدة ولا يجرى حتى تلقى فيه جارية حسناء وضربه رضى الله عنه الارض بالدرّة حين وقعت الزلزلة بالمدينة و قال لها اسكنى باذن الله تعالى فسكنت. كتبته على الخرقه حين هبت النار فى بعض دور المدينة يل نار اسكني باذن الله تعالى والقيت فيها فانطفأت في الحال.

وروى انّ ابا بكر رضى الله عنه لما حملت جنازته الى باب قبر النبى ﷺ ونودى السلام عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب قد فُتح فاذا هاتف يهتف على قبر ادحلوا الحبيب الى الحبيب، و روى ان عمر رضى الله عنه بعث جيشا وامر عليه سارية بن حصين فبينا عمر يوم الجمعة يخطب اذصاح في خطبته ياسارية الجبل الجبل فسمع الجيش وقت خطبته هذا الصياح فاسند ظهره الى الجبل فهزم الله الكفار و ظفر المسلمون بالغنائم الجمة.

وروى عن أنس قال مررت في طريق فوقعت عيني امرأة ثم دخلت على عثمان رضى الله عنه فقال مالى اراكم تدخلون علّي وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت اوحْي نزل بعد رسول الله ﷺ فقال لا ولكن فراسة صادقة، وروي انّ واحدا من اصحاب عليّ كرم الله وجهه سرق وكان عبدا اسود فاتى به الى عليّ كرم الله وجهه فقال اسرقت قال نعم فقطع يده فانصرف من عنده فلقيه سلمان الفارسى وابن الكواء من قطع يدك قال أمير المؤمنين ويعيسوب المسلمين وختن الرسول وزواج البتول فقال قطع يدك وتمدحه قال ولم لا امدحه وقد قطع يدى بحق وخلصنى من النار فسمع سلمان ذلك فأخبربه عليّا كرم الله وجهه فدعا الاسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعت الرداء ماذااليد كما كنت بأذن الله. ويروى عن كثير من الصحابة مثل هذا وفى الكتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ووقائع مشهودة بين الناس فى كل

عصر لاينكرها الاّ غيّ او جهول والظاهر انّ هذا مفروض مع بقاء الوليّ على صورة البشرية وظهور الخارق عنه حال تعلق روحه ببدنه الطبيعى فاذا تغلبت روحه على بدنه وانسلخ عن البشرية او تمثلت روحه بصورة اخرى حال حياته فلا نزاع فى انه يظهر على يديه من خوارق العادات ماشأالله ان يظهر لانها خوارق بالنسبة الى غيره او بالنسبة له قبل التغلب وكذا الحال اذا فارقت ارواحهم ابدانهم بالموت بل هو اولى واجدر فانّ الارواح فى هذه النشأة تكون اتمّ واكمل سواء سمّي ذلك كرامة او لم يُسمّ، وبالجملة فمتى أذن الله لللاوح في شيئ لتعلمه او تفعله خارقا للعادة اولا تصرفت فيه حصبا هو مأذون لها وما هو مقضي فى علمه الا وزلي مما لا يتجاوز حدّ الامكان الروحى والكسب الانساني والاولياء مالانبياء عليهم السلام بل والملائكة والجن وجميع ارواح البشر لا يسعهم ان يستقلوا بخلق فعل من الافعال ضُراونفعا موتا وحياة كما يخلق الله وانّماهم المشيئة والكسب والله تعالى هو المنفرد بالخلق والايجاد كما قال

تعالى لا اله الاّ هو خالق كل شيئ، وقال والله خلقكم وما تعملون، فهذا امر لا نزاع فيه عند المثبتين لكرامة الاولياء وغيرهم. والمعتزلة القائلون بان العبد يخلق افعال نفسه لا ينكرون انها لا تقع الاّ باذنه انتها. وقال بعد ذلك

(الكلام فى انواع الخارق والسحر) ثمّ الخارق لا يختص بنفوس الانبياء و الاولياء كرامة او معجزة بل قد يظهره الله تعالى على يد غيرهم ارهاصا او معونة او استدراجا او أهانة كما هو مذهب اهل الحق فى ذلك فقد قسم علماء الكلام الخارق الى ستة اقسام لانه ان ظهر على يد مسلم ىكان مقرىنا بكمال العرفان واقتران بدوى النبوة فمعجزة، وان لم يقترن بها وظهر علر يد النبى قبل نبوته فارهاص، ومن غير النبى فكرامة، وان ظهر على يد مسلم ولك يكن مقرونا بكمال العرفان فمعونة وهو ما يظهره الله على يد عوام المسلمين تخليصالهم من المحن والمكاره، وان ظهر على يد الكافر وكان موافقا لدعواه فاستدراج، والاّ فاهانة كما روى انّ مسيلمة

الكذاب دعا لا عوران تصير عينه العوراء صحيحة فصارت الصحيحة عوراء. وقد يطلق اسم الاستدراج على ما يطلق عليه اسم المونة. وفى روح المعانى للعلامة الالوسى فى تفسير قوله تعالى: قلنا يا نار كونى بلادا وسلاما على ابراهيم. ما نصه وما يشاهد من وقوعه لبعض المنتسبين الى حضرة الولي الكامل الشيخ احمد الرفاعي قدس سره من الفسقة الدين كادوايكون لكثرة فسقهم كفارا فقيل انه من باب الصحر الخلف فى كفر فاعله وقتله فان لهم اسماء مجهولة المعنى يتلونها عند دخول النار والضرب بالسلاح ولا يعبد ان تكون كفرا ان كان معها ما لاكفرفيه. وقد ذكر بعضهم انهم يقولون عند ذلك تلسنى تلسنى هين هين أعوذ بكلمات الله تعالى التآمات من شر ما خلق اقسمت عليك ايتها النار او ايهاااالسلاح بحق حى حلى ونور سجى ومحمد ﷺ ان لا تضرى غلام الطريقة. و لم يكن ذلك في ومن الشيخ الرفاعي قدس سره العزيز فقد كان اكثر التاس اتباعا لسنة وشدهم تجنّيا عن مظان البدعة

وكان اصحابه سالكين مسلكه متشبشين بذيل اتباعه قدس سره ثم طرأ على بعض المنسبين اليه ما طرأ قال في العبر قد كثر الزغل فى اصحاب الشيخ قدس سره وتجددت لهم احوال يطانية منذ اخذت التنار العراق من دخول النيران و ركوب السباع واللعب بالحيات وهذا لا يعرفه الشيخ ولا صلحاء اصحابه فنعوذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم.

والحق ان قرآن شيئ ما عندهم ليست شرطا لعدم التأثير بالدخول في النار ونحوه فكثير منهم من ينادى اذا وقدت له النار وضربت الدفوق يا شيخ أحمد يا رفاعي يا شيخ فلان لشيخ اُخذ منه الطريق ويدخل النار ولا يتأثر من دون تلاوة شيئ اصلا والاكثر منهم اذ قرأ الاسماء على النار و لم تُضرب له الدفون و لم يحصل له تغير حال لم يقدر على مسّ جمرة وقد يتفق ان يقرأ احدهم الاسماء و تضرب له الدفون وينادى من ينادى من المشايخ فيدخل ويتأثر. والحاصل أنّا لم نرلهم قاعدة مضبوطة بيد انّ الاغلب انه اذا ضربت لهم الدفون واستغاثوا

بمشايخهم وعربدوا يفعلون ما يفعلون ولا يتأثرون وقد رأيت منهم من يأخذ زقَ الخمر ويستغيث عند مستغيث ويدخل تنور اكبر اتضطرهم فيه النار فيقعد فى النار ويشرب الخمر ويبقى حتى تخمد النار فيخرج ولم يحترق من ثيابه اة جسده شيئ واقرب ما يقال في مثل ذلك انه استدراج وابتلام وامّا ان يقال ان الله عز وجل الكرم حضرة الشيخ احمد الرفاعي قدس سره بعد تأثر المنتسبين اليه كيفما كانوا بالنار و نحوها من السلاح وغيره اذا هتفوا باسمه او اسم منتسب اليه فى بعض الاحوال فبعيد بل كأن بم تقول بعُد جوازه وقد يتفق ذلك لبعض المؤمنين في بعض الاحوال اهانة له وقد يأخذ بعض الناس النار بيده ولا يتأثر لاحزاء يَطلى بها يده من خاصيتها عدم اضرار النار ببجسد اذا طُلى بها فيوهم فاعل ذلك انه كرامة اهـــ. والضابط لا مثال هؤلاء ما اثرنا اليه فى تنويع الخارق من المعونة والاستدراج والاهانة لان منهم من له فسق مُكقر اعتقادا وعملا ومنهم من لم يكن كذلك فما يصدر عن

هذا الفريق من الخوارق ان لم يكن خيالا شعوذة فمعونة وما يصدر عن الفريق الاول استدراج او اهانة واما مجرّد تلاوة الكلمات المجهولة لامثالنا لعدم معرفتنا باوضاعها فلا يقتضى كفر اليها لجواز ان تكون معروفة عنده او منقولة نقلا صحيحا عمن يوثق به من الشيوخ كما نُقل عن العارف بالله تعالى سيدى ابراهيم الدسوقي من الاوراد والادعية والتعوذات المشتجلة هلى كلمات لا علم المتالين لها باوضاعها ىلها من الاسرار والبركات مالا يسع احدا انكاره كسائر اللرقى والتعوذات التى تتلى على المرضى فيشفعون او تتلى لا تقاء شر الانس والجن وسائر الهوام. وقد ذكر العلامة الالوسى فى تفسيرقوله تعالى وان يكاد الذين كفر ليزلقونك بابصارهم ان قرأة هذه الآية كما روى عن الحسن تدفع ضرارالعين قال وذلك من خصائص بعض النفوس ولله تعالى ان يخص ما شأ منها بما شأ فقرأة هؤلاء العامة مثل هذه الكلمات لا مانع من كونها تدفع عنهم ضررالنار ةالاقسام والتعوذات المأثورة عن

اصحاب الاسرار العارفين باوضاعها تارة تبقى بعد وفاتها حية مؤثرة باذن الله تعالى لا يتوقف تأثرها على استئذان شيخ ولا على صلاح قال ولا اثمانه بل يكون السر الذى اودعه الله فيها كخاصة النبات والعقاقير وترة يتوقف على أستئذان او صلاح تال او غير ذلك مما هو مشروط فى تأثيرها ثم التأثير بسببها هل يسمى خارقا للعادة مطلقا اى الخارق لابد ان يكون لغيره سبب وعليه فى يسمى السحر من الخوارق والجمهور على ان السحر له حقيقة وانه قد يبلغ الساحربه ان يظهر فى الهواء ويمشى على الماء ويقتل النفس ويقلب الانسان حمارا وفى اللسان السحر عمل فيه تقرب الى الشيطان و معونة منه والفاعل الحقيقى فى ذلك ونحوه هوالله تعالى كسائر افعال العباد فانه الموجد لها والمسخر لا نصبا بها والانس والجن والعزائم والاقسام ليس لها الا التسبب والكسب لااله الا هو خالق كل شيئ,وقد شاع ان العمل به كفر والحق انه ان كان فيه رد مالزم من شرط الايمان فكفر و الا! فلا، ولعل من قال

انه لا حقيقة له اراد نوعا منه وهو الشعوذة التى هي خفةَ في اليد وأخذة كالسحر ترى الشيئ بغير ما عليه اصله في رأي العين، و فى اللسان اصل السحر صرف الشيئ عن حقيقة الى غيره فكأ الساحر لما أرى الباطل فى صورة الحق وخيّل الشيئ على خلاف حقيقة فقد صحر الشيئ عن وجهه اي صِرفه، ومن السحر الاخذة التى تأخذ العين حتى يُظن انّ الامر كما يرى وليس كذلك، وكلّ ما لطف مأخذه و دق فهو سحر.

والسحر البيان فى فطنة، كما ولرد ان من البيان لسحر قال ابن الاثير يعنى انّ منه ما يصرف قلوب السامعين وان كان غير حق، وقال ابو عبيد كأن المعنى والله اعلم انه يبلع من شأنه انه يمدح الانسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب الى قوله ثم يذمّه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب الى قوله الآخر فكأنه قد سحر السامعين بذلك. وفي ايضاح الدلالة في عموم الرسالة لابن عباس بن تيمية المتوفى سنة ٧٢٨ ان الانسان اذا فسدت نفسه ومزاجه يشتهى ما يضره و يلتذبه بل يعشق ذلك عشقا

يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله كالشياطين الذين يشتهون الشز ويتلذذون به ويطلبونه ويحرصون عليه وان كان موجبا لعذابه وعذاب من يغوونه من الانس. فهؤلاء السحرة اذا تقربوا الى الشياطين بعزائهم واقسامهم وكتاية روحانيتهم

المشتملة على ما يحبون من الشر والكفر والشرك صار ذلك كالرشوة لهم فيقضون بعض اغراضهم كمن يعطى غيره مالا ليقتل له من يريد قتله او يعينه على فاحشة ومنهم من يكتب فلا روحانياته كلام الله بالنجاسة ومنهم من يقلب كلامه تعالى عز وجل فاذا قالوا او كتبوا ما تحبه الشياطين وترضاه منهم اعانوهم على بعض اغراضهم كتغرير ماء او حمل فى هواء او اتيان بمال الى غبر ذلك ممّا تفعله الشياطين على ايدى هؤلاء السحرة. قال واعرف فى كل نوع من هذه الانواع من الامور المعينة ومن وقعت له ممن اعرفه مايطول حكايته ثم قال وصزعهم للانس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق كما يتفق للانس مع الانس وقد يكون وهو الكثير الغالب عن بُغض

ومجازاة مثل ان يؤذنيهم بعض الناس عمدا او خطأ اما ببول على بعضهم او بصب ماء حار او يقتل له وان كان الا نسي لا يعرف ذلك وفى الجن جهل وظلم كثير فيعاقبونه باكثر مما يستحق وقد يكون عن عبث منهم وشر مثل سفهاء الانس وارباب العزائم والاقسام كثيرا ما يقسمون بها على بعضهم ليعينهم على بعض فتارة يبرون قسمهم وكثيرا لا يفعلون ذلك بل قد يعجزون عن دفع الجني منهم وكثيرا ما تسخرمنهم الجن اذا طلبوا منهم قتل الجني او حبسه او خروجه من بدن المصروع فيخيل اليهم انهم قتلوه او حبسوه ويكون ذلك تخيلا وكذبا ثم قال وجماهير الامم يقرون بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها ولم ينكر الجن الا شر ذمة قليلة من جُهال المتفلسفة والاطباء ونحوهم، واما اكابر القوم امأثور عنهم اما الاقرارها واما عدم التعرض لها وليس لمن انكر ذلك حجة يعتمد عليها وانمامعه عدم العلم اذا كانت صناعته ليس فيها اما يدل على ذلك كالطبيب الذى ينظر فى البدن من جهة صحته

ومرضه الذى يتعلق بمزاجه وليس يتعرض لما يحصل من الجهة النفس ولا من جهة الجن وان كان قد علم من غير طبه ان النفس تأثيرا اعظم الاسباب الطيبة. وكذلك الجن تأثير فى ذلك كما قال النبى ﷺ في الحديث الصحيح ان الشيطان يجرى من ابن ادمممجرى الدم قيل هو البخارى المسمى عندالاطباء بالروح الحيوانى المنبعث من القلب السارى فى البدن سريان الماء فى العود والظاهرانه الدم المعروف و تقدم الكلام فى الوح الحياونى (اي في الكتاب المطالب القدسية ع.ن) وقد ساق العلامة ابن تيمية فى هذه الرسالة الموضوعة لبيان عموم بعثته ﷺ للانس والجن عدة ايات و احاديث ونصوص عن العلماء تدل دلالة واضحة على وجود الجن وانهم عالمون مأمورون مثهبون على لسان من أُرسل الى الثقلين ﷺ وان احكاما ة اعمالا تتعلق بهم والانس وحكى عنهم وقائع كثيرة في هذا القدركفاية. وعلى كل حال فخوارق الهدات ان خصت بما يظهر على يد النفوس البشرية بلا سبب اصلا فالسحر ليس منها وان لم تقيد ذلك

بذلك دخل فيهاالسحر سواء مان معه قسم او قرين من الجن ارواح أخرى تتسلط على تلك الروح التى ظهر على يدها الخارق كما فى تحضير والتنويم المغناطيسى. وتنقسم العلماء الخارق الى اقسامه المذكورة شلمل لطريقة اليخصيص والتعميم وان كان الظاهر منه الاول بل يتعين في المعجزاة والكرامة والارهاص ان لاتكون عن سبب كما تقدم. اهـــ. (المطالب القدسية).

(الولي في عرف الشرع والفرق بين المجنون والمحذوب)

قال الشيخ العدوى المالكى في المطالب القدسية: والولي شرعا هو العارف بالله تعالى وصفاته حسبا يمكن المواظف على الطاعات المجمتب للمعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات والقوم يطلقونه على المجذوب الذى جذبه الحق اليه و لم يحفظ رسم الشريعة عليه لفقده غقل التمييز فهو غير مكلف باتفاق ولا يطلق عليه اسم الولى عند اهل النظر بل هو داخل فى حدالمجنون والفرق بينه وبين المجنون ان هذا

مسلوب معوض والمجذب كالمجنون يكون متقطعا فيكلف صاحبه فى وقت دون وقت ومطبقا فلا يكلف صاحبه ابدا. وظهور الخوارق على يد المجاذيب اكثر من ظهورها على يدالولى الشرعي الكامل. والكرامة ليست لازمة لكل ولي اذ حقيقة الولي الشرعي لا تقتضيها وهي عند القوم ليست من المراتب المقصودة. ثم الكرامة التى تظهر على يد الولي تكون معجزة للرسول الذى ظهرت هذه الكرامة على يد الولي من امته لانه يظهرها صدقه فى ولايته وصدق ولايته يسنلزم صدقه في دينته التى هي الاقرار باللسان والتصديق بالقلب برسالة رسوله والمتابعة له في اوامره ونواهيه والا لم بكن وليا وذلك يستلزم تصديق النبى ﷺ فى دعواه الرسالة وفى كل ما يبلغه عن الله تعالى والحاصل ان الامر الخارق للعادة بالنسبة الى النبى ﷺ اذا اظهره على يديه يكون معجزة له بغير واسطه واذا اظهره على يد ولي من امته يكون معجزة له بالواسطه وبالنسبة الى

الولي الذي اظهره على يديه يكون كرامة له ومهجزة لنبيه.اهـــ.

واصحاب هذاالمقام قد اصبحوا من عهد بعيد اندرمن الكبريت الاحمر ومن بقي منهم على هذا المعنى ليس له نصيب في قوام العمران ولا حظ فى شؤون مجتمع الانسان وان كان لابدّ منه لكمال الوجود الانساني وحفظ النظام العمران كما يوم يومى اليه حديث لولا شيوخ ركع ولذلك اقرﷺ اهل الصفة واثنى عليهم ورغب في الزهدة مطلقا مع علمه ان نشأة الدنبا تكادتابن وجود هذاالفريق ووركان المسلمون فى صدر الاول يرونه دخرا فى وسط العمران وصوانالنوع الانسان والآن اصبحنا لانراه ولا فى طريق الاودية وشعوب الجبال. فان حمل حديث ابن عباس على معنى اذا ارادت ان تسأل او تستعين فى اي حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فاسأل الله وحده واستعن به دون غيره كما قيل كان ذلك من التعليم الخاص يابن عباس ليروضه ﷺ وهو غلام صغير على هذه

لنشأة الكاملة ومثله كل من تأهب للتجرد او ضعف عن القيام بمعاشرة العامة من المريدين والسائرين امّا العارفون بالله الواصلون المتمكنون فقد تولى الحق تعالى امرهم وحفظ اسرارهم وحرس قلوبهم بجنود الانوار فهؤلاء لايؤثرفيهم ظلم الاغيار وعليه كما قيل يحمل حال خاصة الصحابة المتسببين ولكنّ صدر الحديث كعجزة ظاهر فى انه من التعليم العام الشامل للخواص والعوام فانّ معنى حفظ الله يحفظك عند اهل النظر احفظ اوامره بفعل الطاعات ونواهيه باجتناب المعاصي والمكروهات وعند القوم ذلك مع حفظ المقامات والاحوال والارادات، و معنى عجزه انه لا يقع نفع ولا ضر من مجموع الامة ولا من ايّ احد الاّبما هو مكتوب فى لوح القديم وظاهران نفع العباد بعضهم بعضا لما هو مكتوب وضرهم كذلك من قبيل التسبب والتكسب ومنه ماهو منهى عنه كما انّ منه ماهومباح، فالظاهران الحديث محمول على طاهره من غير ضرورة لتقدير الارادة في شرطه ولا قصر السؤل على الله

فى جزائه. والمراد اذا سألت او استعنت بمخلوق او اردت ذلك في ايّ امر من الامور فيطلب منك ان تسأل الله مع ذلك او تستعين به بأن تذكره بما يدلّ على انه المسؤول او المستعان حقيقة او تستحضر ذلك معتقدا انه الفعال المقدر للأمور المسخر للاسباب ليكون سؤالك للغير او استعانتك به المقرون بما ذكر عبودية لله تعالى ولنجاح طلبك وتيسير امرك وسلامتك من الشرك الخفي والغفلة عن الفاعل الحقيقى الذى بيده ملكوت كل شيئ. واخذا باشارة هذه الحكمة قصرالمتوكلون المحتاطون سؤالهم فى قضاء حوائجهم على الله تعالى ورأوا ان ما يفوتهم من الدنيا خير مما ينالهم منها وان الاشتغال بجهاد النفس والعمل في مرضاة الله اتم واسلم وقوام العمران لا يتوفق على مثلهم لقلة عددهم وعددهم في نصاريف امورهم وستة الله فى الكون اقامة الجمهور فى الاسباب والفزر اليسير في التجرّد ةالتبت اليه تعالى "ولن تجد لسنة الله تبديلا " حتى لا يفوت على المجموع اقامة المصلحة

العامة والاوامر التدوينيةو ومنها حديث ابن عباس رضى الله عنه لا تطالبهم بسؤال الخلق الاّ عند الضرورة القصوى او الاذن الا لهي، وفى هذه الحالة اذا سألوا مخلوقا فايسألوالله ايضا لانه الفاعل الحقيقي المسخر للاسباب الموفق لاجابتها وذلك لا يخرجهم عن التجرد والتوكل ومن الادب كما ذكره القوم انّ من اقامه الله في التجرد لا ينبغي ان يتطلب الخروج عنه الى التسبب حتى ينقله الله اليه كما انّ من اقامه الله فى الاسباب لا يتطلب الخروج منها الا! باذنه كنا أشار الى ذلك ابن عطاء الله السكندي فى حكمه حيث قال: ارادتك التجرد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية و ارادتك الاسباب مع اقامو الله اياك فى التجرد انحطاط عن الهمة العاليةز ظاهر ان مشر الخاصة الذين اقامهم الله فى التجرد لا يتنافى مع مسلك العامة الذين افامهم الله فى التسبب والتكسب بالنسبة لاوامر الحديث الذى نحن بسدده لانه سؤال و الاستعانةبه مطلوب للعامة المتسببين وللخاص المتجردين قصر سؤالهم عليه اخذ

بالاتم الاكمل فى عبوديتهم ومجاح طلبهم وتيسير امرهم وسلامتهم من الغفلة عن طاعة ربهم والحديث يفهمه بدلالته كما يفهم عدم القصر باطلاق صيغته وعموم شرعته وتحقيق حكمته فالاولون اذا ارادوا سؤال حاجة لا يسألون غيرالله ولتجردهم وصدق تيقنهم ليسوا في حاجة الى سؤال المخلوق اللا عند الضرورة او الاذن واللآخرون اذا سألوا او ارادوا سؤال مخلوق حاجة فليسألواالله مع ذلك ولاقامتهم فى الاسباب وتدخلهم في شؤون العباد كانوا في حاجة الى سؤال الخلق وربما كان التسبب و التكسب مع التحفظ من غوائله ارجع من التجرد على انّ كلاّ فى مقامه بليغ لانّ المجرد و المتسبب على هذا المعنى كلاهما عامل الله صادق فى توجهه اليه وان كان صدق التوجه فى التجرد اقوى لقلة غوائقه وقطع علائقه كما هو معلوم، فالحديث جدير بالشمول وكان من دأبه (ص) وهو المشروع لسائر امته ان يباشر الاسباب ويسأل اصحابه و يسألوه ويستعين بهم ويستعينوا به في كثير من

الامور و مع ذلك لا يعول الاّ على الله ولا يستمد المعونة الاّ منه ولا يرة الاّ لنفسه ولا لغيره حولا ولا قوّة، وقد حثث الشريعة الغراء على الاخذ بالتسبب والتكسيب قال تعالى : "فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه" وقال تعالى : "وهزى اليك بجذع النحلة تساقط عليك رطبا حنيا فكلى واشربى وقرّي عينا" وفى الحديث "ان الله يحب العبد المؤمن المحترف" وفيه "اكتسب الدينارو الدرهم ولاتمن كلاّ على غيرك وخيركم من لم يترك ديناه لآخرته ولآخرته لدنياه" بل يعمل لكل منهما لان الانقطاع لاحدهما من العامة موجب لاختلال النظام العام ومفوت لسعادة الدنيا والآخرة نعم ينبغى ان يكون اهتمام المؤمن بامور الآخرة اتم واكمل كما يشير اليه حديث " اعمل لدنيام كانك تعيش ابدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا" ومن الاخذ بالاسبب مساءلة الخلق بعضهم بعضا وتعاونهم في معاشهم ومعادهم وقدقال تعالى :" وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان" و روي

مسلم عن عائشة انّ رسول الله ﷺ قال لرجل الذى تبعه فى غزوة بدر ارجع فلن استعين بمشرك فمفاده ﷺ يستعين بغيره من المسلمين وقال جلّ شأنه "فسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون" وعن ابن عمر رضى الله عنهما سلوا اهل الشرف عن العلم فان كان عندهم علم فاكتبوه فانهم لايكذبون اس لانهم يصونون شرفهم عن ان يد نسوه بعار الكذب وروى علي رضى الله عنه انّ رسول الله ﷺ قال"اطلبوا المعروف من الرحماء امتي" وفى رواية عنه ﷺ قال "اطلبوا الخير عند حسان الوجوه" الى غير ذلك ممّا ورد كتابا وسنة فى هذا الباب. والاخذ بالتكسب والتسبب على الوجه الذى تقرر فى حديث ابن عباس يتضمن التوكل بالمعنى العام وهو الاعتماد على الله تعالى فى جميع الامور ففي الحديث "اعقلها وتوكل" اي تسبب واعتماد على الله تعالى ومرّ عمربن الخطاب رضى الله عنه يقوم فقال من انتم فقالوا المتوكلون فقال انتم متأكلون انما المتوكل رجل القى حبه فى بطن الارض وتوكل على ربه اس القاه

معتمد عليه فى انباته واثماره وحفظه ودفع آفته فالتوجه الى الله تعالى ةالاعتمد عليه عند مباشرة السبب والاخذبه لدفع خطر الغفلة عن اله تعالى واهمال طاعته من شعب الايمان فاالاشتغال بالاسباب والاخذبها وان كام مشروعا مقامه حطير وبقدر مادلّ التّدوين و التكوين على طلب الاخذ بالاسبب دلتىالنصائح الدينية على التحذير منه والتحفظ من عوائله وتدخل الشرك الخفي من جرائه حتى قيل فى قوله تعالى "وما يؤمن اكثرهم بالله الا! وهم مشركون" انهم الناظرون للاسباب المعتمدون عليها وهذا ما عمت به البلوى فى هذا الزمان لا فرق بين خاصة الناس وعامتهم غنيهم وفقيرهم حقيرهم وعظيمهم فاذا نزل بايّ واحد منهم حاجة من حوائج الدنيا هرع الى الخلق والحوا فى سؤالهم واعتمد على وعدهم باجابتهم وغفل عن الله فى قضاء حاجته ولا يرجع الى الله الا عند اليأس من خلقه نعوذ بالله من جموم العمل.

فليكن هذ االاسناد كاسناد الرزق وما يجرى مجراه الى غيرالله تعالى فى قوله تعالى: "فارزقوهم منها" ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبناالله سيؤتيناالله من قضله ورسوله.وما نقمواالا ان أغناهم الله ورسوله" والاعناء لايقدر عليه الا الله فكيف نسبه الى الرسولﷺ وجعله شريكا لله فى ذلك وهل هو الاكالرزق الذى لا يقدر عليه الا الله تعالى وهم قد جعلوا قول (ارزقنى) شركا وكفرا. وقد نسب الله تعالى الى عيسى عليه السلام الخلق وابراه الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله يقوله حكاية عنه {أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص باذن الله} قكيف جاز نسبة ذلك اليه ولم يكن كفرا ولا شركا ولم يجز نسبة شفاء المريض وقضاء الدين والرزق ونحو ذلك الى النبى أو الولي باذن الله. فان كان المانع أنه لا يقدر عليه الاّ الله فالكل كذلك. وان كان عدم القدرة بعد الموت

فهى حاصلة بما دلّ على حياة الانبياء بل وغيرعم فى عالم البرزح.

والى ما ذكرنا أشار عالم المدينة السمهودي الشافعي في كتابه وقاء الوفاء بأخبار المصطفى (ص ٤٢١ ج ٢ طبع عام ١٣٢٦ بمصر) بقوله: وقد يكون التوسل به ﷺ بطلب ذلك الأمر منه بمعنى أنه ﷺ قادر على التسبب فيه بسؤاله وشفاعته الى ربه فيعود الى طلب دعائه وان اختلفت العبارة. ومنه قول القائل له: أسألك مرافقتك فى الجنة. الحديث. ولا يقصد به كونه ﷺ سببا وشافعا.انتهى.

وفى قول القائل(أسألك مرافقتك فى الجنة) فى الحديث المشار اليه ردّ لما توهموه من كفر من قال (اشف مريضى وانصرني على أعدائ ونحوه) حتى ادعى ابن تيمية اجماع المسلمين على ذلك كما مرّ. فمرافقته فى الجنة لا يقدر عليها غير الله نظير غفران الذنب وشفاء المريض. بل لو فُرض انه ليس ظاهر حال القائل ماذكرنا ولتساوى الاحتمالان أو

ضعف الاحتمال الصحيح لم يجز الحكم بالكفر والشرك لوجوب الحمل على الصحة ولو مع الاحتمال الضعيف وعدم جوازالتكفير الاّ مع اليقين. نعم، لو قصد فى الوجه الأول والثالث أن المستغاث به هو الفاعل لذلك اختيارا واستقلالا بدون واسطته تعالى واقداره فالمسلمون منه براء. ولكنه لا يوجد بين المسلمين أحد يقصد ذلك. نعم ربّما يوجد من لا يخطر بباله شئ تفصيلا فيجب حمله أيضا على الوجه الصحيح من طلب الدعاء والشفاعة دون غيره. لأنه وان لم يقصد ذلك و لم يلتفت اليه تفصيلا الاّ أنه مقصودله اجمالا. ولهذا لوسئل هل تعتقد أنه قادر على ذلك بلا واسطة الله تعالى لقال كلاّ لا اعتقد ذلك وتبرأ ممن يعتقده. ولو قيل له هل مرادك طلب الدعاء والشفاعة لقال نعم.

و حيث ظهر أن مرجع ذلك الى طلب الشفاعة وسؤال الدعاء فنقول: أما الشفاعة فمضى الكلام فيها فى الفصل السابق وانها لاتخرج عن سؤال الدعاء. ةأما سؤال الدعاء فلا

مانع منه عقلا ولا شرعا من حيّ ولا ميت. أما من الحي فقد اعتراف مخالفونا فى هذا الزمان الأخير بجوازه و لم يجعلوه شركا ولا كفرا ولا يدعة.

الجواب عن احتجاجهم على عدم جواز دعاء غيرالله تعالى والاستعاثة به بآية (فلا تدعوا مع الله أحدا) وما ذكر معها — أن الدعاء فى اللغة مطلق النداء. قال تعالى: "يايهاالذين آمنوا لاتجعلوا دعاء الرسول كدعاء بعضكم بعضا" ويطلق الدعاء على سؤال الله تعالى والرغبة اليه وطلب حوائج الدنيا والاخرة منه باعتقاد انه مالك أمر الدنيا و الاخرة. وبعبارة أخرى باعتقاد الوهيته واستقاقه العبادة والتعبد والخضوع له بذلك طتعة لأمره. واطلاق الدعاء على ذلك اما لأنه احد افراد المعنى اللغوى اوليصروته حقيقة عرفية فى ذلك او مجازا مشهورا. وقد ورد فى الشرع الحث على الدعاء الله تعالى وطلب حوائج الدنيا والاخرة منه وسمي عبادة قال الله تعالى: ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين،

وفال زين العابدين علي بن الحسين رضى الله عنه فى دعائه بعد ذكر الآيةلا"فسميت دعاءك عبادة وتركه استكبارا وتوعذت عليه دخول الجهنم داخرين" حتى ان الدعاء مخ العبادة كما ذكروه عى احتجاجهم وبمضمونه عدة روايات. وانما كان ذلك لما فيه من اظهار نهاية الخضوع والتذلل لله تعالى وافتقار اليه وان الامور كلها بيده. ولهذا أمر بدعاء وحث عليه مع انه أعلم بحوائجنا منا وأرأف بنا من كل احد. ولكنه أراد أن نظهرله غاية الخضوع والعبودية ونزل به حوائجنا جليلها وحقيرها، حتى ورد أنه أوحى الى موسى (ع) يا موسى أسألني حتى علف دابتك وقوت يومك أو ما هذا معناه.

ولا شك ان مطلق الدعاء والمناداة وطلب الحاجة من غيرالله لا يكون عبادة ولا ممنوعا منه. فمن دعا رجلا ليأتى اليه أو ليعينه وينصره أولىناوله شيئا او يقضى له حاجة لم يكن عابداله ولا آثما. فقوله تعالى: "فر تدعوا مع الله أحدا" لا يراد به كطلق الدعاء قطعا بل دعاء خاص وهو الدعاء المساوى لدعاء

الله تعالى باهتقاد أن المدهوّ قلدر مختار مساو لله كما كان غير المسلمين يفعلون ذلك فى معابدهم، او دعاء من نهى الله عن دعائه من الأصنام والأوثان التى هي احجار وأشجار لاتعقل ةلا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولاتسأل ولا تشفع كما كان يفعل المشركون فى الكعبة، أو دعاء الملائكة والجن الذين كانوا يعبدونهم ويعتقدون ان لهم تأثيرا فى الكون مع الله بأنفسهم أو يشفعون عنده اضطرارا بحيث لايرد شفاعتهم او نحو ذلك مما لم يجعله الله لهم. وكذلك قوله ﷺ الدعاء مخ العبادة او هو العبادة لا براد به مطلق الدعاء بل دعاء خاص كما أريد بالآية الكريمة. بل لا يعبد ان يراد بالدعاء فيه خصوص دعاء الله تعالى. أي أن دعاء الله تعالى مغ العبادة الله تعالى. وذلك لاشتماله على نهاية الذل والخضوع. والعبادة أقصى نهاية الخضوع والذل لأنها مأخوذ من قولهم (طريق معبّد) أى المذلّل. فتكون الألف واللام فيه نائبو عن الاضافة فهي عهديو لا جنسية. وآيات (والذين تدعون من دون الله لا يستطيعون

نصركم ولا انفسكم ينصرون. ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) دالة على أنهم كانوا يعتقدون أنهم قادرون على نصرهم بأنفسهم لابدعائهم وشفاعتهم. والا لم تكن الآيتان ردا عليهم ولكان لهم أم يقولوا أنهم وان لم يقدرون على نصرنا بأنفسهم فهم قادرون عليه بالتسبب بدعاء الله لنا الذى وعد اجابة الدعاء ونحو لم نطلب منهم غير ذلك، وانهم وان كانوا عبادا أمثالنا فهم قادرون على أن يشفعوالنا عندالله الذى جعل لهم الشفاعة باذنه فيستأذنونه ويشفعون هذا ان كانوا من الأنبياء أو الصلحاء.

اذا عرفت ذلك ظهرلك أن من دعانبيا و استغاث به فذلك لايدخل فى الدعاء المنهىّ عنه فى الآية. والاتغاثة لا يخرج عن طلب منه أن يدعوا الله له أو يشفع له عنده الذى هو فى معنى الدعاء. فمن طلب ذلك مع اعتقاد أن الامرفيه لله ان شاء أجاب دعاءه و قبل شفاعته وان شأ ردّ لايدخل في النهى قطعا بعد ما عرفت أن المنهى عنه ليس مطلق الدعاء بل دعاء

مخصوص مع طلب الدعاء والشفاعة ممن حعل الله لهىذلك لا يخرج عن دعاء الله تعالى وعبادته وتلأظيم شأنه والتوسل اليه بأنواع الوسائل وفى ذلك مبالغة فى التضرع اليه والطلب منه الذى علم انه يحبه و يرضاه وانه مخ العبادة له. والمعية فى الآية ظاهرة فى المساواة ومن يدعوالنبى ﷺ ليدعوالله له ويشفع اليه فى حاجته لم يدعه مع الله و لم يساوه بل فى الحقيقة دعاء الله الذى أمر بطلب الدعاء من الغير وجعل له الشفاعة وليس المراد بالمعية مجواد المشاركة فى الوجود، والاّ لحرم دعاء غيرالله فى المساجد او مطلق مع الله بأن يقول يا الله اغفرلي ويافلان اسقنى ماء. وحينئذ فقول (يا محمد ادع لي الله) أو (اشفع لي عندالله) الذى هو فى معنى (ادعه) لا يزيد عن قوله (يا فلان اسقني ماء) وبعبارة أخرى: معنى مع الله أن يكون دعاؤه فى عرض دعاء الله لا فى طوله. والأصنام لو فرض أن دعاها ليس كذلك فالله نهى عن دعائها بكل حال لأنها جماد ولأن دعاء ها خلاف على الله وتكذيب للرسل. ودعاء باقى المعبودات

كعيسى والملائكة والجن هو مثل دعاء الله قطعا. فعيسى (ع) اتخذ شريكا فى الربوبية. والملائكة والجن اعتقد أن لهم قدرة وتأثيرا مع الله كما مرّ.

اما قوله تعالى: "له الدعوة الهق" الآية فمعناه والله أعلم أن المدعوّ بحق هوالله تعالى ونا يدعون من دونه من حجر أو شجر أو نبى يعتقدون الهيته كعيسى فيه عونه ليرزقهم ويدخلهم الجنة ويفعل معهم فعل الرب مع عبيده أو ملك أو جنى يعتقدون أن له تأثيرا مع الله أو شفاعة اضطرارية أو غير مردةدة أو نحو ذلك لا يستجيبون لهم. أما الأحجار والأشجلر فلأنها جماد لا يقدلر على شئ سواء كانت على صورة صالح أولا، لأن الشفاعة ببصالحين لا لصورهم. وامّا من يدعى فيه الالية أو تأثير مع الله من ملك أو جنى فلأنه ليس الها أو تأثيرله.

ولا يعبد ان يكون المراد الاصنام خاصة وان تكون واردة فى مشركى قريش، ولذلك شبه حالهم بباسط كيفية الى الماء يطلب منه ال يبلغ فاه والماء جماد لا يشعلا ببسط كفيه ولا

بعطشه وحاجته اليه ةلا يقد ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه,وكذلك عونه جمادا لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم واين ذلك من طلب الدعاء من الصالحين الذى امرالله بطلب الدعاء منهم ودلت الآيات والآخبار على حياتهم بعدالموت وقدرتهم على ذلك وسؤال الشفاعة منهم التى جعل الله لهم واخبر انهم قادرون عليها وبذلك ظهر جلياّ انّ قياس دعاء الصالحين على الدعاء الاصنام والاوثان وعيسى ومريم وغير ذلك قياس باطل وتوهم فاسد.

اذا عرفت هذا فلنعد الى الجواب عن كلماتهم السابقه كل منها على حده امّا قول ابن تيمية بشرك من يسأل النبى اة الصالح ازالة مرضه او قضاء دينه او نحو ذلك و لزوم قتبه انلم يتب ففاسد لما عرفت من عدم جواز التهجم على تكفير المسلم وستحلال دمه بغير اليقين ووجوب حمل قوله وفعله على الصحيح مهما امكن ولا يقين هنا لوجود المحمول الصحيح وهو ارادة الاسناد الى السبب بادعاء والشفاعة وان مثل ذلك

وارد فى كلام العرب والقرآن المريم. واما روايته انّ ودّا وسواعا الخ اسماء قوم صالحين فلما ما تواعكفوا على قبورهم الى ان اتخذوا اتما ثيلهم اصناما فهو حجة عليه لا له فانّ موجب تكفيرهم اتخاذ تماثيلهم اصناما لا التبرك بقبورهم. قوله وكان العكوف على القيور والتمسّح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو اصل الشرك وعبادة الاوثان، ستعرف فى فضل الزيارة انّ استحباب زيارة قبر النبىﷺ وقبور الانبياء والصلحاء ودعائه تعالى عندها من ضروريات دين الاسلام، واذا ثبت استحباب ذلك ثبت استحباب الاكثر منه فانه لا سرف فى الخير كما لاخير فى السرف قسواء سمّاه ابن تيمية عكوفا او غيره لا يضرّ الاّ نفسه اما جعله ذلك اصل الشرك وعبادة الاوثان فان ارادبه انه سبب تام فى ذلك ففساده ظاهركما نشاهده من تعظيم المسلمين قبورالانبياء والصالحين وتبركهم بها اجيالا عديدة ومع ذلك لم يتخذوا صورهم وتماثيلهم اصناما.

وان كان يقول انّ هذاالله التعظيم والتبرك عبادة للقبور كما يقول المخالفون فى آخرالزمان فقد رجح عن قوله انه اصل الشرك وهبادة الاوثان والشرك كما ادّى فى قوم نوح الذين اتخذوا صورالصالحين اوثانا بعد ما عظموا قبورهم وتبرّكواها فهذا لايوجب تحريمه كما انه اذا ادّ ظهةر المعجزة والكرامة على يد النبى او صالح الى اتخذه الها لا يكون اظهارهما محرّما بهد وجود الادلة من العقل والنقل على عدم الهيته وهي ادلة قاطعة للعذر. وان الراد بكونه اصل الشرك انه نفسه شرك وعبادة للاوثان كما يقول مخالقونا فى آخر الزمان فقد علم فساده بما اقمناه من البراهين على انه ليس كذلك وبوجود الفرق الواضح بينه وبين عباد والاوثان. اما قوله: ولهذا قال ﷺ اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد فتخرص على الغيب فمن الذى أخبره انّ علّة قوله ﷺ ذلك الخوف من يصل تعظيم قبره والتبرك به وتقبيله الى اتخاذه وثنا يعبد بل هو دعاء بأن يعصم أمته من اتخاذ قبره وثنا يعبد بما كانت يعبدبه الجاهلية اوثاها

لابمجرّد تعظيم المسلمون له وتبركهم به الذى قد بيّنّ مرارا انّه
ليس عبادة له امّا تفرقته بين سؤال النبى والصالح فى حياته
وسؤال بعد موته وفى مغيبه بأنه فى حياته لا يعبده احد فى
حضوره فممّا يضحك الثكلى. اوّلا انّ السيائية كما يزعمون
قد عبدت امير المؤمنين عليّا رضى الله عنه قى حضوره حتى
حرقهم بالنار قزاد ذلك اعتقادهم بالهيته لما سمعوه منه وقالوا لا
يعذّب بالنالا للا رب النّار ثانيا احتمال ان يترتب على فعل
المباح او راجح اكّر محرّم لا يوحب تحريمه والاّ لحرم جميع ما
فى الكون من فعل اما قوله ولم يكن احد من سلف الامة فى
عصر الصحابة ولا التابعين يتخيرون الصلاة والدعاء عند قبور
الأنبياء فان نساله هل كان مالك ابن انس امام دار الهجرة و
حجة الله على خلقه بشهادة الامام الشافعى (كما فى خلاصة
تذهيب الكمال ص ٣١٣ طبع مصر) من سلف هذه الامة
ومن التابعين او تابعى التابعين حين قال لابي جعفر المنصور
وقد سأله قائلا ياابا عبدالله استقبل القبلة وادعو ام استقبل

رسول الله ﷺ فقال لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك و وسيلة ابيك آدم (ع) الى يوم القيامة بل استقبله واستشفع به الحديث وهل انكر احد ذلك على مالك من علماء المدينة وهى ملأى بالتابعين و تابعى التابعين او من علماء سائر الا قطاروهل تحتاج فضيلة المكان المدفون فيه جسد النبى ﷺ وهو سيّد الكائنات واشرف ولد آدم الى رواية خاصة وصن مخصوص واذا ثبتت قضيلته الصلاة فيه وسيأتى فى فصل التوسل انّ جميع اصحاب المناسك من علماء الاسلام ذكروا استحباب المجيئ الى قبر رسول الله ﷺ ودعاء: اللهم انك قلت فى كتابك ولو انهم اذا ظلموا انفسهم جاؤك الخ. ونقدم مجيىء رجل الى قبره ﷺ وسؤاله ان يستسقي لأمته فسقواه.

قوله : ولا يستغيثون بهم لا فى مغيبهم ولا عند قبورهم، هذه الدعوى يكذبها مضافا الى ما تسالم عليه المسلمون خلفا عن سلف من الاستغاثه بالانبياء والصالحين وطلب الشفاعة منهم كما يظهر ككا ذكرناه فى تضاعيف هذاالكتاب –

ماذكره عالم المدينة السمهودي الشافعي فى كتابه (وفاء الوفاء) حيث قال فى كلامه الآتى فى الفصل الثالث انّ الاستغاثة بالنبى ﷺ من فعل الانبياء ةالمرسلين وسِيرَ السلف الصالحين وما ذكره فى خاتمة الباب الثامن (ص ٤٢٥ ج ٢) من استغاثة جماعة من السلف به ﷺ بعد وفاته حيث قال: خاتمة فى نبذ مما وقع لمن استغاث بالنبى ﷺ او طلب منه شيئا عند قبره فأعطى مطلوبه ونال مرغوبه مما ذكره الامام بن موسى بن النعمان فى كتابه مصباح الظلام فى فى المستغيثين بخير الانام فمن ذلك ما قال: اتفق لجماعة من علماء سلف هذه الأمة من أئمة المحدثين والصوفية والعلماء بالله المحققين. قال محمد بن المنكدر اودع رجل أبي ثمانين دينارا وخرج للجهاد وقال له ان احنجت انفقها واصاب الناس جهد من الغلاء فانفقها فقدم الرجل فطلبها فقال له عد الي غدا وبات فى المسجد يلوذ بقبر النبى ﷺ مرة وبمنبره مرة حتى كاد ان يصبح، يستغيث بقير النبى ﷺ – الى آخر القصة، وقال الامام ابو بكر ابن المقري

كنت انا والطبرانى وابة الشيخ فى حرم رسول الله ﷺ واثر فينا الجوع فلما كان وقت العشاء حضرت قبر النبى ﷺ وقلت يا رسول الله الجوع الى ان قال : فدق الباب علويّ معه غلامان مع كل وحد زنبيل فيه شيئ كثير وقال اشكوتم الى رسول الله ﷺ فاني رأيته فى المنام فأمرنى ان احمل بشيئ اليكم ثم ذكر السمهودي بعد نحو من نصف ورقة انّ هذه الواقعه رواها ابن الجوزى فى كتابه الوفاء باسناده الى ابن بكر المقري قال وقال ابن الجلاد دخلت المدينة وبي فاقة فتقدمت الى القبر وقلت ضيفك فغفوت فرأيت النبى ﷺ فأعطاني راغيفا فاكلت نصفه – الى آخر القصة. وقال ابو الخير الاقطع وذكر نحوه – وقال ابو عبدالله محمد بن ابن زرعة الصوفي سافرت مع ابي عبدالله بن خفيف الى مكة فاصابتنا فاقه شديدة فدخلنا المدينة فاتى ابن الحظيرة وقال يا رسول الله انا ضيفك اللّيله الى ان قال: فقال رأيت رسةل الله ﷺ فوضع فى يدى دراهم – الى آخر القصة وقال احمد بن محمد الصوفى تهن فى البادية ثلاثة اشهر

فانسلخ جلدى فدخل المدينة وجئت الى النبي ﷺ فسلمت ثم نمت فرأيته ﷺ فى النوم فقال لى جئت قلت نعم و انا جائع وانا فى ضيافتك قال افتح كفيك مملأهما دراهم فانتبهت الخ، ثم فقال السمهودي ما يزيد على عشر وقال وقائع من هذالقبيل ومنها واقعتان نقلهما عن نفسه يطول الكلام بذكرها فليطلبها من ارادها ويستفاد من ذلك ايضا انّ الاستغاثة بالنبى ﷺ عليها سيرة المرسلين خا عن سلف بدون تناكر بينهم فيكشف عن انّ ذلك مأخوذ من صاحب الشرع كما عرفت فى المقدمات مع انه لا يحتاج جواز الاستغاثة الى ورود الدليل بل مانع عليها اقامة الدليل. قوله "ومن اعظم الشرك" الخ قد عرفت انه لا شرك فيه بوجوب حمله على الوجه الصحيح فضلا عن كونه من اعظم الشرك.

وقد علمت ان حديث ابن عباس رضى الله عنهما كما يشير بحكمته الى الاخد بالتجرد والتوكل الخاص يدل ايضا على التسبب والتكسيب مع التوكل العام وهو الاعتماد على

الله تعالى وملاحظة انه الفاعل المختار اي اذا تسببت فسألت مخلوقا فاستعنت به فلا تعتمد عليه وى تغفل به عن الله بل اعتمد على الله وسله واستعن به على المعنى اللائق بفاعليته واذالم تتسبب واردت سؤال حاجة اواردت الاستعانة فيها فسل الله واستعن به دون غيره وقد علمت محل منطوق الشرط ومفهومه قهذا وذلك من الحديث موضع التعليم والارشاد ومحطّ الاسعاد والامداد وفلا الحديث الشريف سلوا الله كل الشيئ حتى الشسع فان الله ان لم ييسره لم يتيسر اى ان لم ييسره على يد من سألتموه لم يتيسر لانه المعطى لما منع له الخلق والامر وبيده قدرة النفع والضر وهو على كل الشيئ قدير. فحديث ابن عباس على هذا المعنى افاد تقييد سؤال الخلق بسؤال الله تعالى والاستعانة بهم بالاستعانة به وعموم هذاالحديث اكد كذلك واشار الى حكمته بقوله فان الله ان لم يُيسره لم يتيسر والظلهر ان المراد بهذا القيد الطلب النفسى سواء كان معه طلب لفظى ام لا لانّ الغرض منه وهو تيسر

المطلوب والسلامة من الغفلة وخطر الشرك جاهل بالطلب النفسى بل مجرّد اعتقاد انّ الله هو الفاعل الحقيقى المنفرد بالايجاد والخلق او ملاحظة انّ سؤال الخلق والاستعانة بهم انما هو لكونهم مظاهر فعله ومواضع امتثال امره كاف لحصول هذاالغرض لان المقصود الاعتماد على الله عند مباشرة السبب ولم يشبت مواظبة من اقبموا فى الاسباب من لبسلف على الجمع بين الذكر اللساني والقلبى نعم هو الاكمل والاوفى بل هو الظاهر من المقابلة بين الشرط والجزاء فى لفظ الحديث ونظيره قوله تعالى: "ولا تقولن لشيئ اني فاعل ذلك غدا الاّ ان يشاء الله " اى لا تقولن فى حال من الاحوال انّى فاعل ذلك غدا الاّ حال ملابسة هذاالقول لذكرمشيئة الله عز وجل فلا تقله مجرّدا عن التلبس بالمشيئة ليتم مطلوبك وتسلم من خطر الغفلة وخفي الشرك، والخطاب للنبي ﷺ والحكم عام له ولامته فانّ هذه الآية نزلت حين سألت قريش النبى ﷺ عن الروح وعن اصحاب الكهف وذىالقرنين فقال عليه الصلاة

والسلام غدا اخبركم و لم يستثن فابطأ عليه الوحي خمسة عشر
يوما فشق ذلك عليه وكذبته قريش وحاشاه، ويدل على تأكيد
هذه الملابسة قوله تعالى :"واذكر ربك اذا نسيت" اي اذكر
معيشته بان تقول ان شاء الله تعالى اذا فرط منك تسيان ذلك
ثم تذكرته فهو امر بالتدارك حين الذكر سواء قصر الفصل ام
طال وعلى قياسه يقال فى الحديث اذا سألت الخ اى لا تسل
مخلوقا ولا تستعين به الا مع ذكرالله مع يدل على سؤاله
والاستعانة به والاوفق ان يكون التوجه الى الله تعالى وقصج
سؤاله متقدما على سؤال المخلوق لانه الفاعل الحقيقى المتقدم
على السبب الذى لايؤثر على اطلاق فاعليته فى ملكه و
ملكوته وانه اذا نسي ذلك يذكره ولو طال الفصل قياسا على
آية المشيئة وروى ان! سيدنا موسى عليه السلام مرض بعينيه
فشكى الى ربه فاوحى اليه ان اذهب الى فلان من بنى اسرائل
يدلك على ما يزيل عنك المرض فذهب اليه وعمل بما دل عليه
فبرئ من مرضه ثم حصل له مثل هذاالمرض مرة اخرى فعمل

الدواء من نفسه واستعمله فلم يحصل له الشفاء فتعجب سيدنا موسى فاوحى الله اليه بان الشفاء حصل فى المرأة الاولى لانك التجأت الينا اوّلا وامّا فى الثانية فقد التجأت الى الدواء اولا فلم يحصل وظاهر ان السؤال غيرالله والاستعانة يه اذا كان واجبا او مندوبا داخل فى عموم صدر الحديث "احفظ الله يحفظك" فان حفظ الواجب والمندوب من حفظ اوامرالله تعالى و طاعته ومع ذلك لايدّ فى السؤال والاستعانة بالمخلوق من تقييده بالتوجه والقصد الى الله تعالى على النحو الذى اشرنااليه وهو كاف فر الغرض المطلوب كما تقدم. والكلام فى السؤال لغير الشحادة والاستكثالا من الدنيا والا فهو ممقوت شرعا باتفاق المسلمين ثمّ بعد تقرير معنى الحديث على هذا الوجه رأيت فى شرح البعين للعلامة ابى عبدالله محمد بن شهاب الدين المشهور بالمسعودى الحنفى من علماء اواخر القرون الثامن مانصه: قوله ﷺ اذا سألت فاسأل الله معناه ستخرج على الوجهين احدهما اذا ارادت سؤال حاجة فسألها

من الله وحده ولا تقصد فيها غيره، والثانى اذا سألت المخلوقا حاجة فليكن مقصدك فيها واجعل المخلوق آلة مصرفة فى تقتقده يجلب لك منفعة او يدفع عنك مضرة، ف ففي الوجه الاوّل يخرج على الندب بالتزام الطريق الاكمل لان من لايقصد فى حوائجه غيرالله فهو افضل ولكن لا يخرج عليه سؤال الحوائج من المخلوقين بشرط ان لا يرى بايدهم منفعة ولا مضرة فذلك يخرج فى الوجه الثانى علة الامر المحتم اذ فى اعتقاد المنفعة والمضرة من المخلوق الشرك، وقوله وستعنت فاسعن بالله معنى هذا ليكن استعانتك بالله وحده فان احتجت الى محلوق تستعين به فلا ترى العون الاّ من الله وحده، والعون يكون من الله للعبد ارادة الفعل فيكون به استطاعه على ايقاع ذلك الفعل فان حرم العون لم يكن له استطاعة عليه. اهـــ.

وكتب الينا حضرلا الاستاذ اخينا الشيخ محمد زاهد الكوثرى ما فهمه فى جملتي الحديث فقال ١١١ سألت ا] سؤال فاسأل الله التوفيق للاجابة فى ذلم السؤال واذا استعنت إ

استعانة باي مستعن بالله المنجاح فى تلك الاستعانة وهذا هو المعنى الظاهر من الحديث وامّا ان يقال فيهما اذا ارادت سؤال فاسأل الله واذا ارادت الاستعانة فاستعن بالله فمعنى مجازى يحوج الى صارف عن الحقيقة حتى لا يتحد الشرط والجواب اهـــ. وهذا وذلك قد يؤيد من الوجه بعض ما قرناه بوضوح فى المعنى الحديث وما استظهرناه فى معنى التقييد المذكور وكفايته انتها كلام الشيخ العدوى المالكي فى المطالب.

ثم قال (فى المطالب) : وقوله (اي قول المسعودى) فلا تعتقده يجلب لك منفعة او يدفع عنك مضرة اي انه لا يخلق شيئا من ذلك بل ولا يكتسبه الاّ باذن الله تعالىوعلى محمل من هذه المحامل يندفع التنافى بين الحديث وبين ما قيل اذا تحيرتم فى الامور فاستعينوا باسحاب القبور اي مع استعانتك بالله تعالى عند ذلك بان تذكروه بما يدلّ على انه المستعان الحقيقى انتهى.

ثم قال الشيخ المالكي :وقد اطلنا الكلام فى هذاالموضوع مع ان الجواب عن التنافى المذكور لا يتوقف على كل هذا لاني كنت حريصا على شرح حديث ابن عباس على حدته تفهماله وتبركا بخدمته. ثم قال: وقول بعض المحققين فيما تقدم "فتصير لشرفها وقوّتها من المدبرات" مما يشير الى نتصرف هذه النفوس الفاضلة بعد الوفاة سواء كان بنحو شفاء المريض وانقاذ الغريق والنصر على الاعداء او غير ذلك. وقد علمت انه لا منع منه كما تقدم بانه مفصلا وسيأتى له مزيد بيان. وقد اسندالله الى الملائكة ما هو فوق ذلك من التوفى واحياء المةتى باذن الله تعالى، وثبت مثله لنبينا ﷺ ولغيره من الانبياء كعيسى عليه وعليهم السلام، قال تعالى "ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئت بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله" وهل ذلك ونحوه الاّ بكون هذه الارواح الطاهرة المقدسة لماها عندالله من الولفى والكرامة و موضع اسراره ومظهر كرامته وخوارق عادته فيدبرالله الامر

على ايدهم كما يدبره على ايدى الملائكة باذن الله تعالى والمدبر فى الحقيقة هو الله وهذه جنوده " وما يعلم جنود ربك الاّ هو" كما قال جلّ شانه: يدبر الامر من السماء الى الارض ثمّ يعرج اليه" فالنفوس المقدسة والملائكة المطهرة انما يسند اليهم التدبير والتصرف على المعنى اللائق بهم وهل ينبغى لأحد ان ينازع فى اسناد ما ذكراليهم بعد هذا ؟ انتهاء (المطلب). ثمّ جاء فى نفس المصدر (المطلب) ما يأتى :

(تعقب الالوسى لكلام بعض المحققين والتنبيه علة الجواب عنه)وبهذا تعلم ما فى تعقب العلامة اللالوسى لما نقله عن بعض المحققين حيث قال ان فى حمل الآية على النفوس الفاضلة المفارقة ايهام صحة ما يزعمه مثير من سخفة العقول ان الاولياء يتصرفون بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وانقاد الغريق والنصر على الاعداء وغير ذلك مما يكةن فى عالم الكون والفساد على معنى ان الله تعالى فوض لهم ذلك ومنهم من يحص ذلك بخمسة من الاولياء والكل جهل و ان كان الثانى

جهلا اهـــ. لما علمت ان تصرف الاولياء بنحو كا ذكر امر جائز بل واقع لامرية فيه سواء حال الحياة او بعد الوفاة فان مان الجهل والسخافة التى وصم بها الكثير من الجهة ان تصرف الاولياء بنحو ما ذكر ليس من شأنهم احياء واموانا وانما هو شأن الله وحده فقد علمت انّ لهم ذلك وانه من شأنهم ايضا اذا وصلوا الى هذه المرتبة اودونها اما بالسعى فى حصوله والارشاد اليه واما بمباشرته باذن الله تعالى كسبا لا خلقا كما يعالج الطبيب المريض فيشفى على يديه وان كان موضع الجهل والسخافة قوله على معنى ان الله تعالى فوض لهم ذلك فمن كونه ليس فو كلام بعض المحققين ما يوهمه فليس ذلك من الجهل ولا من السخافة فى شئ. وجاء فى المطالب ايضا :

(كلام الصوفية فو تفويض الله تعالى لبعض اوليائه فة التصرف باذنه)

فانّ تفويض الله تعالى للاولياء فى التصرف حال حياتهم او بعد وفاتهم بنحو شفاء المريض وانقاذ الغريق والنصر على

الاعداء وغير ذلك امر ثابت عند اسادة الصوفية بل وعند غيرهم اذ لا يمنعه عقل او نقل ومعناه ان الله تعالى يأذن للولي الكامل بالتصرف فى شؤون الكونية التى علم الله وقوعها على يديه بان يُعلِمَه بها وباوقاها قبل وقوعها ويأذن له بمباشرتها كسبا لا خلقا بحيث لا يحتاج عند كل حادثة الى اذن يخصها فقد ذكرا ابو المواهب الشذلى رضى الله عنه ان الولى الكامل قد يعطى الاذن من الله بالتصرف فى بعض الشؤون الكونية جملة او تفصيلا لا يخرج عم مشيئة الفاعل المختار ومن زعم غير ذلك فقد محيث عنه المعارف والانوار اهـــ. وقد عرفت معناه وانه ممّا اتفق عليه السادة الصوفية وليس فى كلام اهل الرسم ما يخالفه بلب فيها قصه الله عن عيسى عليه السلام وما اسنده الى الملائكة الكرام ما هو ظاهر فى ذلك وتقدم فى مبحث الرؤيا (اي فى المطالب) عن ابن القيم نقلا عن بعض السلف انه قال وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكا علمه والهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها فى دينها ودنياها

وطبعها ومعارفها بحيث لا يشتبه عليه منها شئ ولا يغلط منها
فى شيئ فتأتيه نسخة من علم غيب الله من ام الكتاب بما هو
مصيب من هذاالانسان خير وشر فى دينه و دنياه الى آخر ما
ذكره هناك ولا شك ان هذا ضرب من التفويض وظاهر انه لا
فرق بين الانس والملك فى هذا الباب واما قوله بعد هذا
التعقب الذى علمتَ ما فيه نعم لا ينبغى التوقف فى ان الله
تعالى قد يكرم من يشاء من اوليائه بعد الموت كما يكرمه قلبه
بما يشاء فيبرئ سبحانه المريض وينقذ الغريق و ينصر على
الاعدو ويترل الغيث وكيت وكيت كرامة له وربما يظهر
عزوجل من يشبهه صورة فتنعل ما سأل الله تعالى بحرمته مما لا
اثم فيه استجابة للسائل وربما يقع السؤال على الوجه المحظور
شرعا فيظهر سبحانه نحو ذلك مكرا بالسائل واستدراجاله
انتهى. فهذا مما لا نزاع فيه بين المسلمين وهو محمل الكرامة
عند العامة غالبا والخاصة قد يطلعوها على ذلك فما بال
العلامة الالوسى يتوقف فى اكرام اوليائه تعالى بمثل ما ذكر بهد

وفاهم مع ان ارواحهم حية باقية سميعة باصرة صالحة للتوجه والعمل مأذونة بالتصرف من الله تصرف كسب لا تصرف ايجاد وخلق كما هو لها حال حياتها فى الدنيا بلا فرق بل تصرفها بعد مفارقة ابدانها اولى واجدار، والحاصل ان القائيل بكرامات الاولياء وانهم يتصرفون بنحو شفاء المريض وانقاذ الغريق حال الحياة او بعد الوفاة لم يريدوانهم يخلقون ذلك ولا ان الله فوض لهم خلقه وايجاده وانما ارادوا ان الاولياء لظهارة نفوسهم ولماهم عندالله من الزلفى والكرامة اذا توجهوا اليه سبحانه بارواحهم الزكية وهممهم العلية وطلبوا منه جلب منفعة او دفع مضرة سواء صدر منهم هذاا لتوجه بسؤال الغيرلهم والتوسل بهم او من تلقاء انفسهم سواء كانت ارواحهم على حالتها الاصلية او متشكلة فى صورة جسدية فان الله تعالى يكرمهم باجابة طلبهم الذى تحينوا وقت الاجابةحسبما هو مقدر فى علمه و مبسطور فى لوحه وبالضرورة اذا لم يتحين الولي وقت الاجابة بل تقدم او تأخر

فى طلبه لا يستجاب له ولا يقع مطلوبه وقد يطلع الله وليه عليه جملة او تفصيلا فلا ينقدم او يتأخر، وليس فى التوسل بهذاالمعنى ادنى بحضاضة او توهم شرك او ايهام نقص فى حقه تعالى فان المتوسل بهم معتقد وقائل انه لا فاعل ولا خالق الا الله تعالى وانما – التوسل بالولي والنبى سببٌ من الاسباب العادية التى يخلق الله الشيئ عندها اوبها. وهذاالتوجه الروحانى هو المسمى عندهم بالفعل بالمشيئة المشار اليها بقوله تعالى لهم ما يشاؤن عند ربهم، ولا يشاؤن الاّ حيث يشاء الله تعالى كما قال تعالى وما يشاؤن الاّ يشاء الله، وان كان سياق الآية فى بعض سورة القرآن فى روضات الجنات وفى بعضها اعم من ذلك. على ان بعض الاولياء قد يتقرب الى الله تعالى بالنقاافل حتى يصير مظهرا اسمائه وصفاته فيفعل ويتصرف بنفس مشيئة الله وعلمه وقدرته وسمعه وبصره بحيث تفنى الآيه وقواه الكسبية فى نظره كما جاء فى الحديث القدسى ان الله تبارك وتعالى قال من عادى لي وليّا فقد آذننه بالحرب وما تقرّب اليّ

عبدي بشيئ احبّ الىّ ممّا افترضته عليه وما يزال عبدى يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمعه به وبصره الذى يبصربه ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استأذنى لأعيذنه رواه البخارى فى الصحيحه وصاحب هذه المترلة لا يتقدم فى مشيئتة عن مشيئتة الله ولا يتأخر بل يفعل بمشيئة و سمعه و بصره فان العبد اذا تقرب الى مولاه حتى وصل الى مرتبة المحبة والقرب ولا يكون ذلك الاّ برفع الحجب البشرية ومشاهدة الامر على ما هو عليه اعطاه الله من اسمائه الذاتية وصفاته الفعليه ما هو له اهل. وجعله مظهر اسمائه وصفاته وفى هذاالظهور يكون جل شأنه هو السميع البصير الظاهر فى عبده المتكلّم على لسانه كما يشير اليه الحديث المذكور. و متى وصل العبد الى هذاالمقام استغنى بربه عن الآلات فى فعله وتركه وهذاالمقام اخص من مقام الفعل بالمشيئة وهو ان يوجه العبد ارادته للشيئ فينفعل عنه باذن الله تعالى بدون حاجة الى الآلات البدنية او غيرها ممّا

شأن الفعل ان يتوقف عليه. والعارفون فى بعض الاحيان قد يستعلمون الآلات فى هذه الحالة حفظا للرسم وسترا للرسم انتهى كلام صاحب المطالب. ثمّ قال (الشيخ حسن العدوي) :

(الفصل بالمشيئة لا يعارض عموم القدرة الالهية) ثمّ الفعل بالمشيئة كسائر افعال الخليقة لا يعارض عموم القدرة الالهية لانه لا يكون الاّباذن الله وقدرته ومهما قويت ارادة العبد فانفعال الاشياء عنها انّما هو بمشيئة الله وقدرته الشاملة وليس لقدرة الا التسبب والكسب، واليه يشير ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه حيث قال"سوابق الهمم لا تخرق سوار الاقدار" والهمم جمع همة، وهي قوّة انبعاث القلب فى طلب الشيئ والاهتمام به، والهمم السوابق اي القوية لا تخرق اسرار الاقدار بل تدور مع القدر حيث دار كما دلت عليه عقول الاخيار و قضايا الشرع المختار فان تعلقت بما تعلق به القدر فقد وافقته، ويكون الفعل للعبد كسبا ةلله امرا وخلقا كما قال

تعالى "والله خلقكم وما تعملون" وقال " الاله الخلق والامر" وان فرض انها تعلقت بغير ما تعلف به القدر ولا يقع ذلك من العارفين الاّ نادرا فلا يكون الاّ ما اراده الله جلّ شأنه" لااله هو خالق كل شيئ"، " وكان الله على شيئ مقتدرا" بل همة العارف ان توجهت للشيئ فوجدت سورالقدر مضر وباعليهتأدبت معه ورحعت لوصفها وهو العبودية فلا تأسف ولا تحزن بل ربما تفرح برجوعها لمحلّها وتحققها بوصفها وبمعرقتها لربها، كما قيل لبعض العارفين بماذا عرفت ربك قال عرفته بنقض العزائم. نعم اذا اهتم العارف بشيئ وقويت همته به فان الله تعالى يكوّن ذلك الشيئ بقدرته فى ساعة واحدة حتى يكون امره بامر الله ولا يخطئ فى اهتمامه الا نادرا. وفى الحديث "ان لله رجالا لو اقسام على الله لأبرّه" وفيه " رب اشعث اغبر ذى طمرين لايؤبه به لو اقسام على الله لايرّه" ومن هنا قيل ان الله اقواما اذا رفعت حواجبهم قضيت حوائجهم، وقد يحصل هذاالتأثير للهمة القوية وان كان صاحبها ناقصا

كما يقع للعائن والساحر عن حثهما او لخاصّية جعلها الله فيهما اذا انظروا للشيئ بقصد الفعل انفعل ذلك باذن الله وقد يكون التمرين العلمى دخل كبير فى تربية الارادة النفسية وتقوية عزيمتها وتسخير الاشياء لها حتى يكون عنها من الافعال الغريبة مايشبه الكرامة والسحر، ومن هذا القبيل بعض الحركات الرياضية و الا لعاب التمثيلية كالمشي على الجبال والاعواد والاسلاك فانّ ذلك فى الحقيقة يرجع الى تربية الارادة النفسية وتمرينها على الاعمال السحرية وهذا كله ايضا لا يخرق اسوار الاقدار، قال تعالى : وماهم بضارين به من احد الاّ بأذن الله" وقال تعالى "وما يشاءون الاّ ان يشاء الله" وقال ﷺ : كل شيئ بقضاء وقدر وقدر حتى العجز واالكيس" اي النشاط للفعل، واشعر قوله سوابق الهمم انّ الهمم الضعيفة لا ينفعل لها شئ وهو كذلك فى الخير والشر، نعوذ بالله من الضعف الارادة ودناءة الهمة. انتهى عن كتاب المطالب. وفيه ايضا :

(الفعل بالمشيئة لبعض النفوس الدنيئة) وقدارانا الله سبحانه وتعالى نمةذجا من الفعل بالمشيئة فى هذه الدار على يد من هو دون هذه النفوس الزكية كالعاين الحسود فان روحه قد تتوجه الى الشيئ العظيم فتفسده بمجرّد النظر والارادة بدون احتياج الى استعمال آلة متصلة كانت او منفصلة، فكثيرا ما ينظر والعاين الى الشيئ الحسن متاعا فيتلفه او طفلا اة حيوانا فتفسده وقد ورد انّ العاين حق وانها تدخل الرجل القبر والجمل القدر وروى عنه ﷺ انه قال "مادت العين تسبق القدر " وقد ذكر الآلوسى فى تفسير قوله تعالى: وان يكادوا الذين كفروا لزلقونك بابصارهم" ما يدل على فعل النفوس بالتوجه والارادة بدون حاجة الى استعمال الآلات والقوى البدنية حيث نقل عن بعضهم انه كان فى بنى أسد عيّانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله ﷺ.

فترلت هذه الآية وقال لكلبى كان رجل من العرب يمكث يومين او ثلاية لا يأكل ثمّ يرقع جانب خبائه فيقول لم اركا

ليوم ابلا ةلا غنما احسن من هذه فتسقط ظائفة منها وتهلك فاقترح الكفار عليه ان يصيب رسول الله ﷺ فعصم الله نبيه وانزل عليه هذه الآية. وقد قيل انّ قراءتها تدفع ضررالعين، وروى ذلك الحسن. وفى كتاب الاحكام انّ هذه الآية اصل فى انّ العين حق، والاولى الاستدلال على ذلك بما ورد وصحّ من عدّة طرق انّ العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر، وبما اخرجه احمد بسند رجاله ثقات عن ابى ذرّ مرفوعا انّ العين لتولع بالرجل باذن الله تعالى حين يصعد حالقا ثمّ يتردى الى غير ذلك من الاحاديث الكثيرة، قال وذلك كن خصائص بعض النفوس، ولله تعالى ال يخص ما شاء واضافته الى العين باعتبار انّ النفس تؤثر بواسطتها غالبا، وقد يكون التأثير بلا واسطتها بان يوصف للعاين شيئ فتتوجه اليه نفسه فتفسده اهـ . واذا كان هذا فى النفوس الدنيئة وان الله سبحانه ان يخص ماشاء منها بما شاء فَلِمَ لايكون مثله من نوع الخير او مطلقا فى نفوس الاولياء فيفعلون بالتوجه والارادة، ويتصرفون

باذن الله تعالى كما فعلت عين ذلك العاين المولعة بالرجل باذن الله تعالى فاهلكته بدون حركات واستعمال آلات لا فرق فى ذلك بين حال الحياة والموت، ثمّ قال ومثل ذلك ما قيل انه باب تأثير بالقوة المعروفة اليوم بالقوة الكهربائية عند الطبيعين المحدثين فقد صحّ انّ بعض النّاس يكرر النظر الى بعض الاشخاص من فرقه الى قدمه فيصرعه، اي يومه كالمغشي عليه وربما يقف وراء جاعلا اصابعه حذاء نفزة رأسه ويوجه نفسه اليه حتى تضعف قواه فيغشاه نحو النوم ويتكلم اذ ذلك بما لا يتكلم به فى وقت آخر وانا لا نزيد على القول بانه من تأثيرات النفوس ولا اكيف ذلك فالنفس الانسانيه من اعجب مخلوقات الله عز وجل وكم طوى فيها اسرارا وعجائب تتحيرّ فيها العقول ولا ينكرها الا مجنون اة جهول انتهى.

يشير الى مسألة التنويم المغناطيسى (المطالب) ثمّ قال صاحب المطالب: وسبق عنه (اي الالوسي) انه قال بتمثل الارواح فى صور عديدة وقدرتها على التشكلات والافاعيل

العجيبة التى لا تقدر عليها حال تعلقها بالابدان الاّ لمن خصه الله تعالى بقوة النفس وتسخير آلاتها وقواها البدنية حسبما تريد كما سخرلها الاشياء الكونية تسخيرا مقرونا بالامداد الالهى والاذن الربانى انتهى. هذا ما ذكره العلامة الالوسى فى مواضع من تفسيره وانظره مع تعقبه المار وانكاره تصرف النفوس البشرية فى عالم الملك بعد وفاتها وتعليل ذلك بما هو او هو من بيت العنكبوت مرّة بانها مشغولة فى عالم البرزخ ومرة بانها فى عالم آخر مباين لعالم الدنيا ومرّة بانّ التصرّف بنحو شفاء المريض ليس من شؤونها بعد الوفاة فانّ ذلك لا يكتم مع ما نقدناه عنه هنا ولا مع غيره ممن يتعدبه انتهى كلام صاحب الطالب الذى قال بعد ذلك ما يأتى :

(كلام صاحب الاسفار وغيره فة الفعل بالمشيئة بعد الموت)

ويؤده ما تقدم عن صاحب الاسفار وغيره من انّ الروح اذا فارقت البدن وتحولت عن عالم الخلق وكشافته الى عالم الامر ولطافته يصير وجودها وجودا مفارقا عقليا لا تحتاج معه فى

افاعيلها المختلفة وتصرفاهاالمتفاوته الى البدن وآلاته وذلك من معانى تطورها في نشأنها فانها فى أصل نشأتها كانت عاقلة دراكة غنية فى كل شؤونها عن هذه الآلات ثم لما تعلقت بالبدن الكشيف عاقتها ظلمته الجثمانية عن تذكر ما كانت عليه فى نشأتها الاولى واشتغلت بتدبيره وتصرفه ولبست ثوبا آخر فى طور جديد فاذا فارقته بالموت عادت الى ما كان لها فى نشأتها الاولى واصبحت غنية فى تصرفها عن هذه البدن والآته انه قد يبقى مع بعض النفوس من الآثار البدنية والكيفيات الطبيعية ما لا ينمحي الاّ بعد زمن بعيد وقد يبقى الى انتقالها من دار البروخ بعثها فى نشاتها فى نشاة الآخرة ولهذا قد يلتبس عليها من المكاشفات اعلمية والمشاهدات الكونية فلا تصل الى حقائق الاشياء كما هي انتهى. ومن هنا قيل انّ كشف الاولياء قد يقع فيه الغلط فيخبرون بالشيئ على خلاف ما هو بدون قصد وقد يُبرون ما يرون من طلاسم الالواح الالواح العلوية بغير ما اريد منها امّا الجن فيقع منهم ذلك

عمدا وخطأ. وبالجملة فمن وقف على احكام الروح وتجرّدها عن البدن لا يسعه ان ينكر تصرف الارواح بعد مفارقتها للابدان وتجرّدها عن حجاب البشرية المانع من اللحوق بعالم الامر المتصرف فى الوجودين كيف وهي فى هذه الحالة قد توفرلها من القوة والكمال مالم يكن حال تعلقها بالبدن. ولو انّ المنكرين لكرامات الاولياء وتصرف الارواح بعد الموت عكسةاالقضية وقالوا ينفى الكرامة والتصرف حال الحياة هند تعلق الارواح بالابدان الذى من شأنه ان يعوق النفس عن التصرفات الغربية والافعال العجيبة التى تقدر عليها حال مفارقتها للابدان كما تقدم لكان لماذهبوا اليه وجه فى الجملة. التشبث بان الارواح صارت فى عالم آخر مشغولة بمالديها عن التصرف فى هذه العالم المحسةس قد علمت ردّه.

وعل تصرفها فى عالم (الكون والفساد) وعي فى عالم (الامرو الاطلاق) بعد من تصرفها فى العوالم الاخرى وهي متعبقة بابدانها مدبّرة لشؤونها لا شك ان الامر بالعكس انتهى

الخامس. اذا ثبت انّ التوسل بالحي ليس عبادة ولا شركا كما اعتراف به المخالفون فالتوسل كذلك لعدم تعقل الفرق، فان جواز التوسل به الى لله ان كان لمكانته عندالله فهي لم تذهب بالموت كما تقدم عن المطالب القدسية. وان كان التوسل به لاجلان يدعوالله فهو ممكن فى حق الميت ولو فرض عدم امكانه لم يوجب الشرك بل يكون مثل طلب المشي من المقعد بزعم انه صحيح. فالتفرقة بين التوسل بالاحياء والاموات تحكم محض. وقد فهم الصحابة عدم الفرق وامر مالك امام المذهب اباجعفر المنصور (ثانى خلفاء بني عباس) ان يتوسل بالنبى ﷺ ويشتشفع به بعد موته وقال هو وسيلتك وسيلة ابيك لآدم.

ومما يكذب ما بزعمه المخالفون من انه لة يذكر احد من العلماء انه يشرع التوسل بالنبى والصالح بعد مةته ولا استحبوا ذلك ما نقل عن ائمة المذاهب الاربعة وعلمائها من التوسل به ﷺ فى مماته ورجحان ذلك واستحبابه، قال السمهودى فى

وفاء الوفاء (الجزء الثانى، صفحة ٤٢٢) وغيره: قال عياض فى الشفاء بسندجيد عن ابن حميد احد الرواة عن مالك فيما يظهر قال ناظرا ابو جعفر امير المؤمنين لا ترفع صوتك فى هذاالمسجد فان الله تعالى ادبَّ قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الآية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآية وذمّ قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر فقال يا ابا عبدالله استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله ﷺ فقال لم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلو ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل أستقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولواهم اذ ظلموا انفسهم الآية انتهى.

انظر فانّ هذاالحديث ذكره القاضى عياض فى الشفاء وساقه باسناد صحيح، وذكره الامام السبكى فى شفاء السقام فى زيارة خير الانام و السيد السمهودى فى خلاصة الوفاء

والعلامة القسطلانى فى المواهب اللادنية والعلامة ابن حجر فى تحفة الزوّار والجوهر المنظم وذكره كثير من ارباب المناسك فى آدب زيارة النبى ﷺ قال العلامة ابن حجر فى الجواهر المنظم رواية ذلك عن الامام مالك جاءت بالسند الصحيح الذى لا مطعن فيه وقال العلامة الزرقانى فى شرح المواهب ورواها ابن فهد باسناد جيد ورواها القاضى عياض فى الشفاء باسناد صحيح رجاله ثقات ليس فى اسنادهاوضّاع ولا كذّاب قال ومراده بذلك الردّ على من نسب الى مالك كراهية استقبال القبر انتهى.

حكى السمهودى عن ابن عبدالله محمد بن عبدالله بن الحسين السامرى الحنبلى فى المستوعب فى آداب زيارة النبى ﷺ انه يجعل القبر تلقاء وجهه والقبلة خلف ظهره والمنبر عن يساره ويقول فى دعائه : اللهم انك قلت فى كتابك لنبيّك عليه السلام ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك الآية وانّي قد اتيت نبيّك مستغفرا فأسألك ان توجب الى المغفرة كما اوجبت لمن

اتاه فى حياته اللهم انّي اتوجّه اليك بنبيّك ﷺ وذكر الدعاء طويلا، ثم قالك وقال ابو منصور الكرامانى من الحنفية ان كان احد اوصاك بتبليغ السلام تقول السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان يستشفع بك الى ربك بالرحمة والمغفرة فاشفع. وقال السمهودى فو وفاء الوفاء (ج ٢ ص ٤٢٥) ما لفظه : وفى كلام اصحابنا (يعنى الشافعية) ان الزئر يستقبل الوجه الشريف فى السلام والدعاء والتوسل انتهى. وفى خلاصة الكلام (ص ٢٥٢) والدلالا السنية (كلاهما لاحمد زينى دحلان): قال العلامة ابن حجر فى كتابه الخيرات الحسان فى مناقب الامام ابى حنيفة النعمان فى الفصل الخامس والعشرين الامام الشافعى ايام هو ببغداد كان يتوسل بالامام ابى حنيفة رضى الله عنه الى ضريحه يزور فيسلم عليه ثمّ يتوسل الى الله تعالى به فى قضاء حاجاته قال وقد ثبت انّ الامام احمد توسل بالامام الشافعى رضى الله عنه حتو تعجب ابنه عبدالله ابن الامام احمد فقال له ابوه انّ الشافعى كالشمس الناس

وكالعافية للبدن. ولما بلغ الامام الشافعى انّ اهل المغرب يتوسلون الى الله بالامام مالك لم ينكر عليهم اتنهى.

وفى الصواعق المحرقة لابن حجر ان الامام الشافعى رضى الله عنه توسل باهل البيت النبوىّ حيث قال :

آل النبى ذريعـــــتي # وهم اليه وسيـــــــلتي

ارجو بهم أُعطى غدا # بيدى اليمين صحيفتى

انتهى. فالامام مالك وعلماء الحنابلة والاحناف وعلماء الشافعية قائلون بحسن التوسل والتشفع به بعد موته، والامام الشافعي توسل باهل البيت بعد موتهم، وتوسل (الشافعي) بالامام ابى حنيفة بعد موته واقرّه في اهل المغرب على تىسببهم بالامام مالك بعد موته، والامام أحمد بن حنبل توسل لالامام الشافعي بعد موته فضلا عن النبى ﷺ وكلّ هؤلاء من أئمة

المذاهب الاربعة وعلمائها. فالعجب ممن يقول انه لم يذكر احد من العلماء انه يشرع التوسل بالنبى ﷺ والصالح بعد موته.

وفى خلاصة الكلام : المرجح عند الحنابلة جواز التوسل بالنبى ﷺ بعد موته لصحة الاحاديث الدالة على ذلك. فيكون المرجح عندهم موافقا لما عليه أهل المذاهب الثلاثة. قال: واما ما ذكره الألوسى فى تفسيره من ان بعضهم نقل عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه أنه منع التوسل فهو غير صحيح اذ لم يتقله عنه أحد من اهل مذهبه بل كتبهم طافحة باستحباب التوسل و ونقل المخالف غير معتبر. قال: وقج بسط الامام السبكي نصوص المذاهب الأربعة فلا استحباب التوسل فى كتابه شفائ الأسقامفى زيارة خير الانام. فراجعه. قال : وفى المواهب اللدنية للامام القطلاني: وقف أعرابى على قبره الشريف ﷺ وقال: اللهم انك أمرت بعتق العبد وهذا حبيبك وانا عبدك فاعتقنى من النار على قبر حبيبك. فهتف هاتف: يا هذا تسأل العتق لك وحدك، هلاّ سألت العتق لجميع الخلق يهنة من

المؤمنين. الخبر. قال: ثم قال فى المواهب عن الحسن البصرى. وقف حاتم الأصم على قبره ﷺ فقال: يا رب انا زرنا قبر نبيك ﷺ فلا تردنا خائبين الخبر. ثم قال: وقال ابن أبي قديك – وهو من اتباع التابعين ومن الأئمة الثقات المشهورين ومن المروى عنهم فى الصحيحين و غيرهما : سمعت بعض من ادركت من العلماء والصلحاء يقول: بلغنا ان من وقف عند قبر النبى ﷺ فقال هذه الآية ((ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايهالذين أمنوا صلوا عليه وسلّمواتسليما)) وقال ((صلى الله عليك يا محمد)) حتى يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان و لم تسقط له حاجة. قال: وهذا الذى نقله فى المواهب عن ابن أبي فديك رواه عنه البيهقى. قال: ومما ذكره العلماء فى آداب الزيارة انه يستحب ان يجدد الزائر التوبة فى ذلك الموقف الشريف ويستشفع به ﷺ الر ربه عز وجل فى قبولها ويكثر الاستغفار والتضلرع بعد تلاوة ((ولو انهم اذ ظلموا أنفسهم الآية)) ويقولون: ((نحن وقدك يا رسول الله

وزوارك جئناك لقضاء حقك والتبرك بزيارتك والاستشفاع بك مما اثقال ظهورنا فليس لنا يا رسول الله شفيع غيرك نؤمله ولا رجاء عير بابك نصله فاستغفرلنا واشفع لنا عند ربك واسأله أن يمنّ علينا يسائر طلباتنا) ثم قال: وذكر كثير من علماء المواهب الآربعة فى كتب المناسك عمد ذكرهم زيارة النبى ﷺ أنه يسنّ للزائر الن يستقبل القبر الشريف ويتوسل الى الله تعالى فى غفران ذنةبه وقضاء حاجته ويستشفع به ﷺ انتهى.

حكى السمهودى فى وفار الوفاء (ج ٣ ص ٣١١) عن السبكى أن الآية دالة على الحث بالمجئ اليه ﷺ والاستغفار عنده واستغفاره لهم وهذه رتبة ر تنقطع بموته وقد حصل استغفاره لجميع المؤمنين والمؤمنات، لقوله تعالى ((استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)) فان اوجد مجيئهم واسنغفارهم تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ولرحمته، و قوله ((واستغفرلهم)) معطوف على ((جاؤك)) فلا يقتنى كون

استغفاره بعد استغفارهم ومع اننا لا نسلم انه لا يستغفر بعد الموت لما سبق من حياته ومن استغفاره لأمته بعد اموت عند عرض أعمالهم عليه ويعلم من كمال رحمته انه لا يترك ذلكمن جاءه مستغفرا ربه انتهى. قال فى خلاصة الكلام: ويؤيد ذلك ما صح عنه ﷺ حياتى خيرلكم تُحدثون و احدثلكمووفالي خير لكم تعرض على أعمالكم ما رأيت من خير حمدت الله . وما رأيت من شر ستغفرت لكم انتهى. فهذه اقوال علماء المذاهب الأربعة وسيرة المسلمين خلفا عن سلف متفقة على التبرك بقبر النبى ﷺ والتوسل والاستشفاع به ﷺ سيما عند قبره، ودعاء الله عنده وأخبارهم ورواياتهم طافحة بذلك، والمخالق يقول/ لم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التةسل بعد موته ةلا استحبوا ذلك.

ومن انواع التوسل به ﷺ فى حياته بعد مةته تقديم الصلاة عليه قبل الدعاء الذى ولرد انه من اسباب اجابة الدعاء كما اعترف به ابن تيمية وجرت عليه سيرة المسلمين و أصبح من

ضروؤيات الدين فانه لا نعنى له الا التوسل به ﷺ وبالصلاة عليه الى الله فى اجابة الدعاء.

ومن انواع التوسل به ﷺ استقبال قبره الشريف وقت الدعاء فانه فى الحقيقة توسل به ﷺ وبقبره الشريف وقد جرت عليه سنة المسلمين خلفا عن سلف وقرنا بعد قرن، وأفتى باستحبابه الامام مالك امام دار الهجرة كما مرّ: وفى خلاصة الكلام ذكر علماء المناسك ان استقبال قبره الشريف ﷺ وقت الزيارة والدعاء أفضل من استقبال القبلة. قال العلامة المحقق الكمال ابن الهمام وهو من أئمة الحنفية: ان استقبال القبر الشريف أفضل من استقبال القبلة، واما ما نقل عت الامام أبى حنيفة رضى الله عنه من ان استقبال القبلة افضل فمردود بما رواه الامام تفسه فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنه أنه قال: من السنة استقبال القبر المكرم وجعل الظهر للقبلة. وسبقه الى ذلك ابن جماعة. فنقل استحباب استقبال القبر الشريف عن الامام ابى حنيفة أيضا ورد قول الكرمانى أنه

يستقبل القبلة وقال ليس بشيئ قال فلا الجواهر المنظم ويستدل لاستقبال القبر ليضا بأنا متفقون على أنه ﷺ حيّ فى قبره يعلم زائره الشريف. ثم نقل قول مالك للمنصور المشار اليه آنفا. ثم قال: قال العلامة الزرقانى فة شرح المواهب: ان كتب المالكية طافحة باستحباب الدعاء عند القبر مستقبلا له مستدبرا للقبلة. ثم نقل عن مذهب الامام ابى حنيفة والشافعى رضى الله عنهما والجمهور مثل ذلك. قال: واما مذهب الامام أحمد ففيه اختلاف بين علماء مذهبه. والراجح عند المحققين منهم أنه يستقبل القبر الشريف كبقية المذاهب. انتهى محل الحاجة من خلاصة الكلام.

قال السبكى: فاستدبار القبلة فى هذه الحالة مستحب كما فى خطبة الجمعة والعيدين وسائر الخطب المشروعة. كما قال ابن عساكر فى التحفة اى ان قال: فى كلام أصحابنا (يعنى الشافعية) أن الزائر يستقبل الوجه الشريف فى السلام والدعاء

والتوسل، ثم يقف مستقبل القبلة والقبر عن يساره والمنبر عن يمينه فيدعو أيضا. انتهى وفاء الوفاء.

الفصل الخامس

الاقسام هو قولك: أقسمت عليك، أو أقسم عليك بفلان أو بحق فلان أو سألتك أو أسألك بفلان. وهذا داخل فى التوسل ولكنه نوع خاص منه فذكرناه فى فصل خاص وهو ليس ببدعة فان حكمه حكم التوسل وقد بينا جوازه و رجاجحأنه وانه محبوب الله تعالى وانه تعالى يحب ان يتوسل اليه عبده بانواع الوسائل